الفصل الثانى

تركيب الحزب وأصوله الاجتماعية

رؤية الحزب لنفسه اجتماعيا — أعيان الحزب وأصولهم — المثقفون — مثقفو حزب الأمة ونشأتهم الثلاث — علاقة الأعيان بالمثقفين .

ذكرت افتتاحية العدد الاول للجريدة ، ان أولى الجماعات بواجبات الخدمة القومية ومراقبة الاحوال العامة واقدرها على العمل لتكوين الرأى العام هم جماعة أولو الرأى ، الذين نبهوا ذكرا بعلو النسب أو بالعلم والفضل ، ثم أوضحت أن الحكومة المصرية تعتبر حكومة نصف أرستقراطية أو (حكومة اشراف) ، حيث نجد فى اللوائح واوراق الحكومة من عهد جنتمكان سعيد باشا كلمات : الأعيان والاعيان المندوبين وانه إتخذ له بطانة عسكرية من ابناء الاعيان ، ثم عين اسماعيل باشا عمد البلاد وأعيانها فى الوظائف الكبيرة فجعل كثيرين منهم مديرين للاقاليم حتى الأميين ، وقد حصر القانون النظامى قابلية العضوية للمجالس النائبة عن الأمة فى طائفة من الناس يكون ما يدفعونه خراجا عن املاكهم لا يقل عن ٥٠ جنيها فى السنة ... ولابد ان الشعور العام فى البلد يرفع المرء اذا كان من طبقة خاصة هى تلك التى ميزتها الحكومة » (١) وقد كرر لطفى السيد نفس المعنى حول « المعروفو الاسماء فى الأمة بانقياد الناس الى أفكارهم بسبب ثروتهم أو طول خدمتهم أو قدم عائلاتهم وكثرة ظهورهم فى الاجتماعات الرسمية ، ويوضح أن ذلك هو المدلول العرفى لمعنى قولهم « اهل الرأى او أصحاب البلد أو أصحاب المصالح الحقيقية او اعيان البلاد الذين تؤخذ اقوالهم دون غيرهم — حجة

(١) الجريدة ٨ فى ١٧ مارس ١٩٠٧ (التعليم فى مدارس الحكومة) .

على امتهم » (٢) . وفى خطبة اعلان الحزب ذكر حسن باشا أن رقى الامة على يد اولى الراى ، وأن حزبهم يضم اغلبية رؤساء العائلات فى هذا الشعب ونوابه (٣) أو بمعنى ادق يتألف من سراة البلاد واعيانها وطائفة غير قليلة من كتابها واذكيائها (٤) فالاعيان ، كما يقول لطفى السيد ، هم رؤساء الامة الطبيعيون ، وهم رؤساء العائلات والامة لا تتكون من الافراد بل تتكون من العائلات (٥) ، والمقصود بالعائلة العصبية فكل جمعية اتسعت بين افرادها دائرة المشابهات وضاقت دائرة الفروق فهى عائلة ذات عصبية وتضامن وعلى هذه العائلات الكبرى التى هى الأندية تتبنى العصبية العامة أو سلطة الامة (٦) . وحين ووجهت الجريدة من قبل خصومها بأنها « جريدة الاعيان » واشتهر حزب الامة بين الناس بحزب الاعيان (٧) ، اجاب لطفى السيد ، بتكرار المعنى السابق حول استخدام لفظ اعيان فى القوانين المصرية ، والمدلول العرفى للفظه وان الجريدة لم تنتحل لمؤسسيها هذا اللقب بل وصفتهم بما هم موصوفون به وانه كالقول « كبار المزارعين » أو رؤساء العائلات الفلاحين ، كما ان حزبهم هو حزب الشعب وحزب المحكومين لا الحكام . وحزب الفلاحين لا الذوات الفخام . حزب الامة لا حزب الاعيان « ولو كان فى لفظ الاعيان ما يوهم مذهبا سياسيا بعينه لما كان من الاعيان فى الحزب الوطنى وحزب الاصلاح (٨) .

وهكذا أوقع الاتهام لطفى فى كثير من الخلط اضطره اليه محرر اللواء ـ الطرف الآخر فى الحوار ـ فبدا انه ينكر انهم حزب الاعيان ، بعد أن اقره ، كما ميزهم عن اعيان الحزب الآخرين ، وانكر أن فى التسمية بحزب الاعيان ما يوهم مذهبا سياسيا بعينه .

---

(٢) الجريدة ٨١ في ٢٣ يونيو ١٩٠٧ (كلمة في الحالة الحاضرة) .
(٣) الجريدة ١٦٥ فى ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ (خطبة حسن باشا عبد الرازق) .
(٤) لطفى السيد : صفحات مطوية ، ص ١٤ (خطبة بنادى الحزب) .
(٥) الجريدة ٤٥٤ في ٢ سبتمبر ١٩٠٨ (روضوا انفسكم على الاستقلال) .
(٦) الجريدة ٢٣٠ في ٩ ديسمبر ١٩٠٧ ، ١١٨ في ١٤ نوفمبر ١٩١٠ .
(٧) اللواء ٢٩٠٥ في ١٤ مارس ١٩٠٩ ، ٢٩٠٨ في ١٧ مارس ١٩٠٧ .
(٨) الجريدة ٦١١ في ١٥ مارس ١٩٠٩ (الاعيان) .

وهكذا بدا واضحا أن الحزب يقرن بين الاحساس بالوضع الطبقى ، والطموح السياسى ، ولا يرى غرابة ، وهو يعبر عن التفاوت ، فى أن يسمى نفسه حزب الفلاحين أو حزب الشعب ، وطالما رددت جريدته أن الأمة بزعمائها لا بعامتها ، وأن العامة فى كل أمة تابعون لهؤلاء الزعماء « لاتخطف فى ذلك حكومة من حكومات أوربا الديمقراطية ملوكية كانت أم جمهورية ، وطبقة العامة فى كل أمة لا تعنى كثيرا بالمسائل السياسية لاشتغالها بأعمالها المعاشية فلا ينتظر من عامة الأمة أن تعرف مواد دستورها ... (٩) وقد عبر لطفى السيد عن هذا المنطق حين سأله مراسل الاجبشن جازيت : « لماذا لا يكون حزبكم أكثر ظهورا أو اعلانا عن نفسه ؟ » فأجاب بأننا لسنا فى حاجة الى ذلك لنشر مبادئنا لأننا نرمى الى اكتساب تأييد المفكرين والمهذبين وحزبنا ليس حزب جمهور العامة ، والجمهور لا يبالى بالسياسة ولكنك تجد فى كل قرية قوما يهتمون بشئون الحكومة ، وأبدى لطفى دهشته حين لم يجد بين ستين قرية زارها أخيرا ، قرية بلا رجل أو رجال يهتمون بالسياسة ويكونون مراكز تشع بالمبادىء والقواعد السياسية من كل جهة (١٠) .

أما بالنسبة لاصطلاح « أصحاب المصالح الحقيقية » فقد ووجهت الجريدة باتهام آخر ، نشرته بتوقيع « ابن الشعب » فحواه أن أصحاب المصالح الحقيقية فى مصر « كما يفهم من أقوال الكتاب والخطباء هم حضرات السادة أصحاب الملايين والالوف من الفدادين أما الفقراء وأصحاب المترية واخوان العامة فلا تعرفهم مصر الا بمقدار ما تعرفهم لندن وباريس .. والحقيقة أن أصحاب المصالح الحقيقية هم الذين ان حل الضيم بالبلد كان لاحقا بهم أو أصابه شقاء كان حالا عليهم » وما أشبه رد الجريدة على ذلك بردها على محرر اللواء ، حيث أنكرت أنها تقصد بأصحاب المصالح الحقيقية أصحاب الأطيان أو الأموال الطائلة .. وان هذا التعبير انما ينصرف لذوى العائلات التى تتألف الأمة من مجموعها ولم يشترط أحد فى تعريف العائلة

---

(٩) الجريدة ٣٧٠ فى ٢٧ مايو ١٩٠٧ (الأمة بزعمائها بعامتها) .

(١٠) الجريدة ١٣٧٥ فى ١٩ سبتمبر ١٩١١ (حديث مدير الجريدة لمراسل الاجبشن جازيت) .

أنها فقيرة أو غنية ، وكل عائلة تضم فقراء واغنياء ، وان لم يكن عند الفقراء الوقت الكافى لتتبع حركات السياسة ، بل هم يجيئون غالبا اليها يوم يحتاج تدبير حال الأمة الى القوة ... »(١١) .

يتضح اذن أن الأمة ، برغم التفسيرات السابقة ، فى عرفهم هى الاعيان أو كبار المزارعين أو اصحاب المصالح الحقيقية ، وأبناؤهم او فئة المتعلمين واصحاب الوظائف ، وان مصلحة الأمة تعنى مصلحتهم ، وأن مصالحهم اليومية المتعددة بنسبة اتساع ثرواتهم ، وأنهم يريدون قضاء تلك المصالح « سواء كانت متعلقة برى الأطيان او بترتيب العمد والمشايخ والخفراء او سلامة حقوق الانتخاب من العبث ... » (١٢) أى أن المصلحة ترتبط بحجم الثروة والعمل السياسى معيار هذه المصلحة ، واذا ما فحصنا أسماء الجمعية العمومية للحزب والتى ضمت حوالى ١٦ يحملون لقب (باشا) وما يزيد على الثمانين يحملون لقب (بك) فى مجتمع تدل فيه الالقاب على وضع اجتماعى واقتصادى بين ، ولا تمنح غالبا الا للاغنياء أو الاعيان ذوى الوجاهة ادركنا المعنى السابق بسهولة .

ولتحليل التركيب الاجتماعى سوف نفترض ان لدينا مقياسين لتحديد الوضع الطبقى للحزب اولهما : يمكن تسميته بمقياس الثروة والدخل على اعتبار أن هناك شكلا هرميا للمجتمع المصرى آنئذ ، فى اعلاه طبقة من الاعيان أو كبار ملاك الاراضى والعقارات أو « طبقة ارستقراطية » ، وفى الوسط طبقة صغار الملاك نسبيا — وذوى المهن الحرة من التجار والمحامين والصحافيين والموظفين والذين لديهم قدرا اقل من الملكية العقارية ، وفى القاعدة العمال والفلاحين والمعدمين . وثانيهما : فئوى تحليلى — ان جاز الاصطلاح — والمعيار فيه توزيع الفئات الاجتماعية طبقا لمعايير منها الوظيفة أو الثقافة وبموجبه توجد فئة من الأعيان الذين لا يمتهنون شيئا سوى الاشراف على اراضيهم ، وعندهم حظ متواضع من التعليم ، ثم

---

(١١) الجريدة ٦٣٢ فى ٨ ابريل ١٩٠٩ (أصحاب المصالح الحقيقية) .
(١٢) الجريدة ٥٥٤ فى ٢ يناير ١٩٠٩ ولطفى السيد صفحات مطوية ، ص ٤٧ .

فئة الموظفين الحكوميين او العاملين فى الجهاز الادارى للدولة وفئة ذوى الأعمال الحرة كالمحامين ، والصحافيين والكتاب ، وهؤلاء فى معظمهم تلقوا تعليما عاليا وتحددت مراكزهم الاجتماعية طبقا لوظائفهم او مدى شهرتهم فى الأعمال الحرة .

وبالنسبة لحزب الامة فسوف نحاول تطبيق المقياسين معا باعتبارهما وجهين لعملة واحدة فبالمقياس الأول نستطيع ان ندرك — كما سلفنا — أن الحزب يتركب أساسا من الاعيان — أو من يمثلون الارستقراطية المصرية من كبار ملاك الاراضى الزراعية وكبار التجار والمشايخ ، والذين يمثلون مناطقهم عادة فى المجالس النيابية ومجالس المديريات او هم وجهاء القطر ، يضاف اليهم الفئة العليا من الطبقة الوسطى (١٣) ممن نالوا قدرا كبيرا من التعليم وتقلدوا الوظائف أو عملوا فترة بالمحاماة أو هووا العمل الصحفى ، أو حتى تحرروا من هذا وذاك ، وبالنسبة للمقياس الثانى ، فيضم الحزب فئة الاعيان وفئة المثقفين ، وهذه الفئة الاخيرة — من الموظفين والمحامين وذوى الاعمال الحرة — وان وضعناهم فى قمة الطبقة الوسطى فذلك راجع لكون ملكياتهم — باعتبارهم منفصلين عن آبائهم — أو ثرواتهم أقل من ناحية ، وباعتبار أن نصيبهم من الوجاهة اقل وينبنى اساسا على حظهم من التعليم ، وعلى ذلك فحزب الأمة ، طبقا لمعيار المقياسين معا ، يتكون اساسا من الاعيان والمثقفين بفئاتهم ، وان ليست هناك تحديدات دقيقة بين هذه الفئات ذلك ان معظمهم ، على ما سنرى ، اشتغل بالمحاماة فترة وتقلد الوظيفة بضع سنين ، أو ان فيهم من جمع بين الوظيفة والانتاج الفكرى ، وان اعتبرنا المثقفين ابناء لهذه الطبقة فليس هناك حقيقة انفصال بين الطبقة ومثقفيها وان كانت الضرورة المنهجية سوف تلجئنا الى ذلك .

* * *

(١٣) وقد وصفوا انفسهم بانهم نصف ارستقراط ووصلوا الحكومة الطامحين الوصول اليها بانها حكومة اشراف أو نصف حكومة الأعيان ، كما قالوا انهم يمثلون الطبقة الوسطى فما فوق (الجريدة ٨ فى ١٧ مارس ١٩٠٧) الا أنهم يمثلون حقيقة الفئة العليا من الطبقة الوسطى فما فوقها .

أولا ــ الأعيـــان :

لم يكن ظهور طبقة متميزة من كبار ملاك الاراضى الزراعية فى مصر الا نتيجة طبيعية لما حدث منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر ، والذى افضى الى تطور المجتمع ككل نتيجة صدور العديد من الاجراءات فى المجالين التشريعى والتطبيقى ادت فى النهاية ، أو فى الثلث الأخير من القرن بالذات، الى بروزهم الى سطح الحياة العامة ، ومن ثم المجال السياسى وممارستهم للعمل العام معتمدين على وضعهم الاجتماعى الذى وفرته لهم هذه الملكيات، ومن ثم فان البحث فى نشوء ملكياتهم وتطورها هو بالضرورة بحث فى أصول وضعهم (١٤) ، والعلامات البارزة حول هذا الموضوع توضحها اجراءات محمد على حين أصدر قراره عام ١٨٣٧ الذى وضع اساس الملكية الخاصة للارض مما أدى الى خلق طبقة من الناس تحصر نفسها فى نسب الغنى العقارى (١٥) وجاءت لائحة سعيد عام ١٨٥٨ ، لتوسع من حقوق هـــذه الطبقة (١٦) ثم كانت لائحة المقابلة (١٨٧١) وقانون التصفية (١٨٨٥) الذى أتاح بيـــع أملاك الدائرة السنية والدومين ، وذلك لاستهلاك الدين العمومى (١٧) وأخيرا دكريتو (١٨٩١) الذى جعل حقوق الملكية التامة فى الاطيان الخراجية (١٨) .

وهكذا نشأت الملكيات الكبيرة من اشكال معينة لحيازة الارض الزراعية فشكلت الاطيان العشورية الجـــانب الاكبر من الملكيات الزراعية الكبيرة

---

(١٤) هناك دراسات قيمة حول هذا المجال مثل :
Baer, G., A History of Landownership in Modern Egypt, 1800 - 1950.
وكذلك رؤف عباس حامد : النظام الاجتماعى في مصر في ضوء الملكيات الزراعية الكبيرة ١٨٣٧ ــ ١٩١٤ .

(١٥) انظر فيليب جلاد : قاموس الادارة والقضاء ، المجلد الاول ، ص ١٢ ، ٧٧ ، ورؤوف عباس : النظام الاجتماعى ، ص ١٥ ــ ١٦ ، ويعقوب أرتين : الأحـكام المرعية فى شأن الأراضى المصرية ، ص ٥٤ .

(١٦) جرجس حنين : الاطيان والضرائب في القطر المصرى ، ص ١٩٢ (مادة ٥٤ من اللائحة) أرتين ، السـابق ، ص ٢٢٠ .

(١٧) رؤوف عباس : النظام الاجتماعى ، ص ٢١ ، وارتين : المصدر السـابق ص ٦٤ ، جلاد المصدر السـابق ، المجلد الثانى ص ٢١٤ (مادة قانون التصفية) .

(١٨) أحمد حسن وايزدور فلدمان : مجموعة القوانين واللوائح ، ج ٢ ، ص ٨٨٢ .

ولعبت أطيان العهدة دورها فى توسيع مساحة بعض الفئات . وكانت أطيان المسموح هى الأساس الذى قامت عليه ملكيات أعيان المصريين من شيوخ القرى . وقد نشـــأت الملكيات الزراعية الكبيرة نتيجـــة ظروف سياسية واقتصادية متعددة لعل ابرزها رغبة محمد على فى تقويض النظام الاقتصادى الذى كان سائدا عند بداية حكمه ، وخلق مصالح اقتصادية للفئات الاجتماعية التى اعتمد عليها فى الحكم ، ومن ثم تهيأت الفرصة لقيام طبقة تتمتع بنفوذ سياسى ومكانة اجتماعية يستندان الى ما تتملكه من ثروة عقارية (١٩) .

وقد لعبت التشريعات والأزمات المصرية والعـــالمية ، وتدفق رؤوس الأموال الاجنبية واشتغالها فى مجال استثمار الاراضى ، وديون الحكومة التى اضطرتها الى بيع املاكها وما تنازلت عنه الأسرة الخديوية ، والأزمة القطنية التى دفعت وجهاء الريف ومشايخ القرى الى الاقبال المتزايد على شراء الاراضى ، لعب ذلك كله دوره فى احداث حراك انتقلت على اثره الفئة العليـــا من الطبقة الوسطى الى عداد طبقة كبار المـــلاك أو الطبقـــة الارستقراطية ـــ مجازا ـــ كما خلخل بدوره هذه الطبقة ليفسح للوطنيين فيها مكان الصدارة ، وما أن حل عام ١٩٠٦ حتى كانت عمليات المضاربة بالأراضى قد بلغت الذروة وحتى كانت املاك الدائرة السنية والدومين على وشـــك الانتهاء الى أيدى كبار الملاك المصريين الذين تبلورت لطبقتهم ملامح اجتماعية واقتصادية محددة (٢٠) .

وطبقة الاعيان التى خرج منها حزب الامة بشكل عام طبقة محدثة تاريخها لا يمتد الى ابعد من عصر اسماعيل ولا يتجاوز ـــ منذ وضعت بذرتها الاولى وحتى بداية الاحتلال ـــ اكثر من عقدين وان نمت عن حيوية بالغة فى تطورها واكتمالها (٢١) . ولذلك كان اشتغالها بالسياسة قريب عهد ايضا وبالذات منذ صدور قانون الانتخاب (١٨٦٦) الذى حصر الانتخاب فى العمد والمشايخ

---

(١٩) رؤوف عباس : النظام الاجتماعى فى مصر ، ص ٤٦ .

(٢٠) وقـــد وصفتهم جريدة الاستانة (٣٦ فى ١ يناير ١٩٠٧) بأن لهم شـــغف بالراحة والسكون الى الدعة وعدم العمل والاكتفاء بالموروث عن آبائهم من المـــال والمتاع والعقار .

(٢١) النجار : أحمد لطفى السيد ، ص ٥٧ .

وكانت النتيجة ان جاء أعضاء مجلس شورى النواب فى دوراته الثلاثة ١٨٦٦ — ١٨٧٦ من العمد (٢٢) وحين صدر النظام الاساسى عام ١٨٨٣ احتوى الباب الرابع شروط انتخاب « الاعيان المندوبين » للجمعية العمومية (٢٣) . كما منحهم دكريتو مارس ١٨٩٥ بخصوص انتخاب عمد ومشايخ البلاد ، سلطات قانونية اوسع ومنها حق الضبطية القضائية وما يختص بالأمن العام (٢٤) ، وكان الاعيان اول من انفض من حول عرابى عند أول صدام له مع قوات الاحتلال.. بل ان منهم من شكل وفدا لاستقبال قائد جيش الاحتلال وقدم له نوعا من الاسلحة على سبيل الهدية (٢٥) . وكان محمود باشا سليمان أثناء الثورة العرابية قد ترك العمل العام منصرفا الى اعماله الخاصة (٢٦) وقد وصفه هيكل بأنه كان من بعيدى النظر الذين قدروا ما يمكن ان يصيب البلاد من جراء الثورة فتنحى عن الاشتراك فيها وترك القاهرة الى الصعيد عام ١٨٩٥ (٢٧) كما كان حسن باشا عبد الرازق عضوا فى مجلس النواب فى عصر اسماعيل ، وكان صديقا حميما لسلطان باشا (٢٨) صاحب الموقف المعروف من الثورة .

وعموما لم يكن عمل الاعيان بالسياسة او تكوين الاحزاب استكمالا للوجاهة او تاصيلا لهيبتهم بين فلاحى اراضيهم واجهزة الدولة ، بقدر ما كان اشتغالهم بها صونا لمصالحهم النامية بطرق اكثر ضمانا ، ولعل هذا كان وراء حرصهم على ان يتقلد ابناؤهم مناصب الادارة .

وقد توزع الأعيان بين شتى الاتجاهات السياسية فى عصرهم ، حسب مصلحة كل فريق ، من ثم كانوا فى شتى الأحزاب ، كل حزب بقدر ، لكنهم

---

(٢٢) النجار : الجريدة تاريخ ونقد ، دكتوراه غير منشورة ، ص ٤٥ .
(٢٣) فيليب جلاد : قاموس الادارة والقضاء ، المجلد ٣ ، ص ٣٤٠ .
(٢٤) أحمد حسن وقلدمان : مجموعة القوانين واللوائح ، جـ ٢ ، ص ٩٦٥ — ٩٦٧ .
(٢٥) مذكرات عرابى ، جـ ٢ ، ص ٣٦ — ٣٧ ، والوقائع ١٤٩٠ فى ٢٨ سبتمبر ١٨٨٢ ، ١٦١١ فى ٨ ابريل ١٨٨٣ .
(٢٦) الياس زاخورا : مرآة العصر ، مجلد ٢ ، ص ١٥٣ .
(٢٧) هيكل : تراجم مصرية وغربية ، ص ١٨٣ .
(٢٨) الجريدة ٢٤٤ فى ٢٦ ديسمبر ١٩٠٧ ، وكذلك على عبد الرازق : من آثار مصطفى عبد الرازق ، ص ١١ .

فى حزب الامة كانوا يشكلون معظمه — مع ابنائهم من الموظفين والمحامين والكتاب — فحزب الامة حزب طبقة ، بمعنى أن فئة أو جماعة من طبقة الاعيان ، كانت اغلبية ساحقة فيه ، او ان فريقا كبيرا من طبقة الاعيان قد كون حزب الامة ، وليس بمعنى أن طبقة الاعيان المصرية قد كونت حزبا هو حزب الامة ، ذلك هو مفهوم حزب الاعيان المصريين وعلاقته بالمفهوم العام للاعيان كطبقة قياسا على الوضع الطبقى لبقية الاحزاب .

وقد ضم حزب الامة عند نشأته اكثر من ثمان عمد ، والكثير ممن استقال آباؤهم واخوتهم هذا المنصب ، او يمتون اليه بصلة من قريب ، اما العمد فهم : محمود باشا سليمان ، وكان عمدة ابو تيج وساحل سليم (٢٩) ، وحسن باشا عبد الرازق ، وكان قاضيا على بلدة ابى جرج بالمنيا ، ورث منصبه القضاء عن اجداده ، الذين تولوه منذ عام ١٧٩٨ ، وكان يعنى تولى امر ولاية البهنسا كلها ثم نقل الى ابى جرج وصار ارثا فى العائلة حتى تولاه حسن باشا وكيل حزب الامة (٣٠) ، اما وكيل الحزب الآخر ، على باشا شعراوى فكان عمدة بنى محمد شعراوى فى بنى مزار بالمنيا (٣١) ، وكذلك كان السيد بك ابو على — والد لطفى السيد — عمدة لبرقين بمديرية الدقهلية ، ويملك الفى فدان (٣٢) ، وكان حمد الباسل باشا عمدة لقبيلة الرماح ، وان كان قد تخلى عن العمدية لاخيه عبد الستار عضو جمعية الحزب العمومية ، وزوج ، ملك حفنى ناصف — من كاتبات الحزب — وكان يمتلك وحده اكثر من الفى فدان (٣٣) ، وكان الاخوان من شيوخ البدو الذين تكونت ملكياتهم فى ظروفه مشابهة لتلك التى تكونت فيها ملكيات اعيان الريف ونشأ بعضها نتيجة

---

(٢٩) زاخورا : مرآة العصر ، مجلد ٢ ، ص ١٥٣ وهيكل : تراجم ، ص ١٨٢ .

(٣٠) على عبد الرازق : من آثار مصطفى عبد الرازق ، عن المقدمة ، ص ٦ .

(٣١) محمد خليل صبحى : تاريخ الحياة النيابية ، ج ٦ ، ص ٣٨ ، ٤٣ — وكذلك محمد السوادى : اقطاب مصر بين الثورتين ، ص ٣٣ ، والذى اضاف ان على شعراوى كان ابنا لاخت محمد سلطان باشا رئيس المجلس النيابى فى عهد توفيق وخصم الثورة العرابية وان على باشا مات عن تسعة آلاف فدان بدأت بهبة خاله اليه خمسمائة فدان من أراضى تلك الزمام وهو لايزال طفلا ، ص ٢٤

(٣٢) زاخورا : نفس المصدر ، مجلد ٢ ، ص ٤١١

(٣٣) المصدر السابق ، ص ٣٣٣ ، مجد الدين حفنى ناصف ، آثار باحثة البادية ، ص ٥٢

سياسة توطين البدو التى اتبعها محمد على وخلفاؤه (٢٤) ، وكذلك كان مصطفى باشا خليل عمدة « لمنية الكرم » بمديرية الشرقية ، ومحمد بك موسى عين أعيان المنيا ، وعمدة لبلدته « الفقاعى » (٢٥) . وقد كان قطب بك قرشى عين أعيان ديروط ،والدا لمحرم بك عمدة « القرشية » ايضا وكان عين أعيان المنيا ، ناشد بك حنا ، عمدة لبلدته « أشروبة » وقد ظل فى الوظيفة خمسة عشر عاما (٢٦) ، وفى قائمة أعضاء جمعية الحزب العمومية نعثر على اسماء ثلاثة بكوات من الاباظية هم : سليمان أحمد أباظة ، ومحمد صادق أباظه ، ومحمد عثمان أباظه ، وأولهم ابن احمد اباظه باشا ، الذى كان كبير للعائلة حتى عام ١٩٠٠ ثم تولاها اسماعيل باشا ؛ وقد تقلب أولاد أباظة فى الرتب السنية والمناصب الديوانية منذ عهد سعيد باشا (٢٧) اما محمد صادق فكان أخا لاسماعيل باشا أباظه ، وقد اكتتب فى الجريدة بمبلغ مائة جنيه مثله مثل الاخير — محمد عثمان — وهو ابن أخيهم أيضا وكان عضوا فى مجلس ادارة الحزب (٢٨) .

وقد ضم اعيان حزب الامة بين صفوفهم فريقا ممن عملوا تجارا وجمعوا ثروات طائلة ومنهم من اسس مشروعات عقارية كبيرة ، وتاجر مع الحكومة مثل أحمد يحيى باشا الذى كان فى مقدمة تجار الاسكندرية الثراة ، وكذلك كبار الشخصيات القبطية من أسرة عبد النور كالخواجه فخرى عبد النور الذى عكف على تعاطى الزراعة والتجارة وكان كلما تقدم يزيد أشغاله ويوسع أعماله ويضاعف موارده (٢٩) ، ومنها اسرة حنا التى اشتهر فيها بشرى بك حنا ، الذى بلغ فى التجارة مكانة مرموقة ادت الى انتخابه رئيسا للمؤتمر

---

(٢٤) رؤوف عباس : النظام الاجتماعى ، ص ٩٠ — ٩٦ « والى هذا النوع تنتمى ملكيات شيوخ البدو الذين استوطنوا الصعيد وأطراف الدلتا ودخل بعضهم فى زمرة الملتزمين ومن ثم خرجوا من نطاق البداوة والفوا حياة الاستقرار ومن أمثلتهم قبائل البراعة والعوايد ومنهم الاباظية والرماح والهنادى وأولاد على » .

(٢٥) زاخورا : المصدر السابق ، ص ٢٧٩ ، ٢٠٠

(٣٦) الجريدة ، ١٣٢٠ فى ١٦ يوليو ١٩١١

(٣٧) مصطفى الشهابى : اسماعيل أباظة باشا ، ص ٦٠٣ .

(٣٨) الجريدة ، ١٢٩٢ فى ١٣ يونيو ١٩١١

(٣٩) زاخورا : المصدر السابق مجلد (٢) ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨

القبطى بأسيوط (٤٠) ، وأيضا سينوت بك حنا ، وكلاهما كانا عضوين بجمعية الحزب العمومية ، وان كان بشرى قد جمع بين ذلك وبين عضوية مجلس ادارة الحزب . هذا بالاضافة الى العديد من الشخصيات القبطية المعروفة كالخواجة الياس بشاى واندراوس بشارة ، وحنا صالح سليم وابنه الخواجة عزيز (٤١) وكان اعتدال الحزب هو الذى جذب اليه العديد من زعماء الاقباط (٤٢) ومن كبار التجار أعضاء الجمعية العمومية للحزب . أمين بك الشمسى، والذى كان سر تجار بندر الزقازيق (مركز القنايات) (٤٣) .

كما ضم الحزب من أعضائه البارزين شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، الشيخ عبد الرحيم مصطفى الدمرداش ، الذى تولى رئاسة المشيخة من أبيه ومن ثروته حتى عد من كبار موالى زمانه (٤٤) كما ضم الحزب ادريس بك راغب « الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الوطنى المصرى « الماسونى » الذى كان يضم الخديوى توفيق وفخرى باشا والامير محمد على والدوق اوف كنوت ، وعددا من الوزراء ووكلائهم (٤٥) .

أما بالنسبة لذوى المناصب ، فمنهم من عملوا لفترة بالحكومة ثم هجروا الوظائف ليتولوا شئون عائلاتهم ، كمحمود باشا سليمان ، الذى كان حاكما على أبو تيج من قبل نظارة الداخلية ؛ وعلى ديروط بسلطة غير محدودة ثم اصبح نائبا لمديرية جرجا ، واخيرا ترك الوظائف وعكف على ادارة أطيانه الواسعة (٤٦) ، ومثل محمود بك عبد الغفار ، من اعيان تلا بالمنوفية ، الذى تخرج من الحقوق الخديوية (١٨٩٤) وعين فى النيابة العمومية ولم يمكث

---

(٤٠) المصدر السابق ، وايضا الجريدة ١٦٥ في ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ ، والمؤيد ٤٩٢٣ في ٢٤ يوليو ١٩٠٦

(٤١) الجريدة ١٦٥ في ٢١ سبتمبر ١٩٠٧

(٤٢) Ahmed, J.M. The Intellectual Origins. p. 71.

(٤٣) محمد خليل صبحي ، تاريخ الحياة النيابية ، ج ٦ ، ص ٣٨ ، ٤١

(٤٤) الاهرام ١٦٢٢٧ فى ٦ فبراير ١٩٣٠ (الدمرداش وجده) .

(٤٥) اللواء ٢٨٧٩ في ١٤ اكتوبر ١٩٠٨ وقد استمر راغب رئيسا للمحفل الى عهد الملك فؤاد وكان يقتنى المطابع لاصدار الصحف الفرنسية والعربية ومنها المحروسة ، العقاد : رجال عرفتهم ، ص ٢١٢ — ٢١٣

(٤٦) زاخورا : مرآة العصر ، مجلد ٢ ، ص ١٥٣

بها الا زمنا يسيرا واضطر الى الاستقالة عقب وفاة اخيه الاكبر ، ليعمل على تنمية ثروة اسرته (٤٧) ، وكذلك محمد محمود بك خليل ، الذى اشتهرت عائلته بعلو مكانتها ، وكان جده سكرتيرا خصوصيا لاسماعيل باشا وحافظا للدفترخانة السلطانية ، وقد تخرج هو الآخر من الحقوق الخديوية وباريس ، والمحاماة لعامين ثم عين فى نظارة الحقانية بوظيفة نائب ثم استقال ليعمل لحسابه الخاص (٤٨) ولعلنا لاحظنا ان الاهتمام بشئون الاطيان وممتلكات الاسرة والحفاظ على وحدتها وعصبيتها كان عندهم أهم من وظائف الحكومة بل ان هذا الاهتمام قد يبلغ حد استدعاء احدهم وصرفه عن دراسته ، لتولى هذه الشئون مثلما حدث لحسن عبد الرازق ، الذى قطع دراسته بالأزهر ولم يجاوز العشرين واستطاع فى فترة وجيزة أن ينمى ثروة العائلة ، ولما شكل مجلس النواب فى عهد اسماعيل انتخب عضوا فيه عن المنيا (٤٩) وحدث نفس الشىء لبسيونى بك الخطيب ، الذى استعان به أحمد باشا المنشاوى ابن خاله — ليكون وكيلا لدائرته (٥٠) مما يدل ايضا على مدى الترابط الذى كان يحرص عليه الأعيان فى ادارة املاكهم والاستعانة بذويهم الذين كونوا بدورهم ثروات خاصة بهم .

والى جانب شغل الاعيان لمناصب العمدية فى قراهم ونواحيهم نجد الكثير منهم قد شغلوا مناصب ذات وضع اجتماعى معين او ساهموا فى مؤسسات اجتماعية وان لم تكن لها صفة رسمية ، ومنهم من انشأ بعض المعاهد العلمية او اوقف عليها من اطيانه ، فمحمود باشا سليمان قد شيد مدرسة صناعية يتعلم فيها اكثر من مائة طالب صناعة النجارة والحياكة والحدادة وغيرها (٥١) . ومحمد بك عبد الغفار كان من اكبر مؤسسى جماعة المساعى المشكورة فى مديرية المنوفية ، كما كان عضوا فى مجلس المعارف

---

(٤٧) الجريدة ٩٠٠ فى ٢٦ فبراير ١٩١٠

(٤٨) زاخورا : المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ١٤٧

(٤٩) على عبد الرازق : من آثار مصطفى عبد الرازق ، ص ١٠ — ١١

(٥٠) زاخورا : المصدر السابق ، مجلد (٢) ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤

(٥١) نفسه ، ص ١٥٣ ، وقد اوصى وكيل الحزب حسن عبد الرازق بربع خمسين فدانا من افضل اطيانه للازهر والجمعية الخيرية (انظر الجريدة ٢٤٤ فى ٢٦ ديسمبر ١٩٠٧) .

الأعلى (٥٢) ، وقد اوقف قطب بك ثروته الكبيرة من أملاكه على مدرسة ديروط ثم قام بتشييد معهدها العلمي (٥٣) وكان محمد بك موسى عضوا فى مجلس مديرية المنيا ، وعضوا بلجنة الشياخات ، ومصطفى باشا خليل عضوا فى مجلس مديرية الشرقية وله خدمات جليلة فى الجمعية الزراعية الخديوية (٥٤) وقد كان حمد باشا الباسل عضوا فى لجنة النقى الادارى ، أما السيد بك أبو على فقد ضم الى جانب عضويته للجمعية الزراعية ، عضوية مجلس قومسيون الاشتياء بمديرية الدقهلية عام ١٨٨٢ (٥٥) ، وقد عهدت المانيا الى فخرى بك عبد النور بوكالة قنصليتها فى مديرية جرجا اما أحمد يحيى باشا فقد اندمج فى ادارات الحكومة وانتخب عضوا فى المجلس البلدى ثم عين عضوا فيه من جانب الحكومة (٥٦) .

وقد مثل آباؤهم فى مجلس شورى النواب عام ١٨٦٦ وفى عهد الخديوى اسماعيل ، فكان احمد بك عبد الغفار ، عمدة تلا بالمنوفية ووالد محمود بك من مؤسسى الحزب ، عضوا بالمجلس فى دور انعقاده الثانى ١٨٧٠ — ١٨٧٣ وقد اصبح وكيلا لمجلس شورى القوانين فيما بعد (٥٧) وكذلك كان محمد بك الاتربى والد محمود بك ، وايضا الشيخ حسن عبد الرازق عمدة ابو جرج (٥٨) ، وكذلك كان لهم دورهم فى مجلس النواب عام ١٨٨١ فنقرأ بين أعضاء الهيئة النيابية الاولى ١٨٨١ — ١٨٨٢ اسماء احمد عبد الغفار ، وسليمان اباظه ، وامين الشمسى ، وعلى حسن شعراوى ، ومحمود سليمان ، وقد انعم على محمود بك سليمان برتبة المتميز ، وعلى كل من على

---

(٥٢) الجريدة ٩٠٠ في ٢٦ فبراير ١٩١٠

(٥٣) الجريدة ١٣٢٠ في ١٦ يوليو ١٩١١

(٥٤) زاخورا : مجلد (٢) ، ص ٢٠٠ ، ٢٧٩

(٥٥) نفسه ، ص ٣٣٤ ، ص ٤١١ (وفي عام ١٨٨٥ انتدب السيد بك ابو على فى لجنة تاديب العمد والمشايخ . وفي عام ١٩٠٢ عين عضوا بلجنة الادارة المختصة بأحكام مخالفات الرى ....) .

(٥٦) المصدر السابق ، مجلد (٢) ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٧

(٥٧) محمد خليل صبحى ، تاريخ الحياة النيابية ج ٦ ، ص ٢٤ ، والجريدة ٩٠٠ في ٢٦ فبراير ١٩١٠

(٥٨) المرجع السابق ، ص ٢٤ — ٢٦

شيمراوى واحمد عبد الغفار بالرتبة الثالثة (٥٩) هذا الى جانب اشتراكهم فى المؤسسات النيابية التالية بشكل اوسع مما سوف نتحدث عنه فى فصل مستقل .

ومستوى ثقافتهم بشكل عام يرتبط بحظهم من التعليم ، وقد تلقاه معظمهم فى كتاب القرية ، واحتياز بعضهم قدرا من التعليم فى الجوامع السابقة على الازهر ، ووصول البعض الآخر الى الازهر . كما أن البعض قد تلقى تعليما أوليا فى مدارس الحكومة الاولية والابتدائية ، والبعض الآخر قد تلقى تعليمه على أيدى معلمين استحضرهم آباؤهم كرئيس الحزب (٦٠) ووكيله حسن عبد الرازق الذى تلقى العلم بالازهر لمدة تسع سنوات « وشغف بالادبيات ، وكان متضلعا فى العلوم الدينية على مذهب الامام الشافعى » (٦١) وكذلك مصطفى خليل والشيخ الدمرداش اللذين « بلغا » الازهر (٦٢) وان كان الكثير لم يتجاوز فى تعليمه الكتاب ، حيث تنبوا بتلقى مبادىء اللغة العربية والقرآن والخط والحساب ، كالسيد بك ابو على وبسيونى بك الخطيب (٦٣) . وقد تلقى البعض تعليما حكوميا لم يكمله ، مثل محمد بك موسى (٦٤) وان استكمله بعضهم حتى آخر مراحله كمحمود عبد الغفار ، وان كان قد اكتفى أخيرا بالاشتغال بأطيانه (٦٥) بينما درس بعض الاقباط منهم العلوم الحديثة فى مدارس الفرير بالقاهرة ، ومدارس

---

(٥٩) المرجع السابق ، ص ٣٨ — ٤٣

(٦٠) زاخورا ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ وقد ذكر سعد زغلول أن البرنس حسين كامل قد انتقد محمود بك سليمان بصفته وكيل مجلس الشورى لكونه جاهلا .. « مذكرات سعد ، كراس (٩) ، ص ٥٠٣ . ولم يكتب رئيس الحزب مقالة واحدة بنفسه في الجريدة كما أنه قد أعلن أنه ليس سياسيا ولا جورنالجيا وكان على شعراوى ممن لا يكتبون في الجرائد ولا يخطبون (عبد العزيز فهمى ، هذه حياتى ، ص ٢٦) وربما لان درجة ثقافته لم تكن تسمح بذلك .

(٦١) الجريدة ٢١٣ في ٢٥ ديسمبر ١٩٠٧

(٦٢) زاخورا : المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ٢٧٩ ، والاهرام ١٦٢٢٢٧ فى ٦ فبراير ١٩٣٠

(٦٣) زاخورا : المصدر السابق ، ص ٤١٠ ، ٢٢٣

(٦٤) نفسه ، ص ١٩٩

(٦٥) الجريدة ٩٠٠ في ٢٦ فبراير ١٩١٠

الآباء اليسوعيين ، وان كانوا لم يكملوا الشوط حتى نهايته ، فعادوا الى قراهم لتولى وظائف العمدية أو لتعاطى الزراعة والتجارة كناشد حنا وفخري عبد النور (٦٦) ، وقد سافر الكثير منهم الى أوروبا للسياحة والاصطياف وتعرفوا على مدنيتها ، فنعرف ان حمد الباسل كان يجيد الانجليزية والفرنسية ، وكذا ناشد وبشرى حنا (٦٧) .

* * *

ثانيا : المثقفون :

حين بلغت مصر ذلك الجيل من مثقفيها ، والذين شهدت طفولتهم احتلال مصر ، واذكوا نار الحركة الوطنية ، وتجمعوا داخل الاحزاب السياسية وتأثروا واثروا فى أحداث تلك الفترة ، كان ذلك الجيل صورة اكثر نضجا ووعيا من الجيل السابق ، بل كان نتاجا متطورا لمسألة تحديث مصر ، التى فتحت حملة بونابرت أعين مصر عليها والتقطها وتعهدها محمد على باجراءاته واصلاحاته وشهدت البلاد فى عهده تعليما حديثا وأرسلت البعثات العلمية لاوروبا للمرة الاولى واستقدم الاستاذة الاوروبيون ، وفكت طلاسم الهيروغليفية ونشطت المعارف والعلوم بفضل مؤسساته التعليمية ، وظهر جيل على قدر من الثقافة الحديثة ، ولذا لم تنشأ النهضة العلمية والفكرية التى عرفتها مصر فى عهد اسماعيل من فراغ ، فكان لتدفق رؤوس الأموال الأجنبية فى عهده مع ما صحبها من مؤثرات أوروبية ونتيجة مشروعاته الاقتصادية مما فتح الباب لتحولات كبيرة أحدثتها هجرة الاوروبيين الى مصر الامر الذى ادى بدوره الى انتقال الافكار والعادات الاوروبية (٦٨) هذا بخلاف ما اطلع عليه المصريون من الترجمات ، ودور الصحافة فى الحياة السياسية ، ودور الافغانى والشوام فى احياء الثقافة والفكر ، مما كان له اثره

---

(٦٦) زاخورا : المصدر السابق مجلد ٢ ، ص ٤٤٨ ، مجلد ٣ ، ص ٤٨

(٦٧) زاخورا : مجلد ٢ ، ص ٣٢٤ ، ٣١٦ ثم مجلد ٣ ، ص ٤٨

(٦٨) Säfran, N., Egypt in Search. P. 35. وكذلك :

البرت حوراني : الفكر العربى ، ص ١٦١ واحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، ص ٢٨ — ٢٩

فى تكوين طبقة جديدة من المثقفين المصريين ممن تلقوا تعليما علمانيا(٦٩) قوامها الموظفون الرسميون ممن تعلموا فى أوروبا وخريجو المدارس ، بالاضافة الى بعض رجال الازهر المستنيرين .

وفى ظل هذا المناخ العام للحركة الثقافية والفكرية ظهر جيل ما بعد الاحتلال ، غير ان مثقفى حزب الامة يحملون طابعا معينا وفرته لهم عدة اسس : منها ان غالبيتهم الساحقة من ابناء الاعيان القادرين ماديا . والذين حرص آباؤهم على استكمال تعليمهم حتى أتموا دراستهم فى أوروبا على نفقتهم وان كان منهم من ارسل فى بعثات حكومية ، كفتحى زغلول ، الذى درس الحقوق بفرنسا (١٨٨٣ — ١٨٨٧) (٧٠) ، وقاسم أمين ، وعلى ابو الفتوح ، اللذين درسا الحقوق فى مونبليه بفرنسا (٧١) ، كما ان بعضهم ينتمى الى الفئة النامية من الطبقة متوسطة الملكية (٧٢) ، ومن أشهر الذين درسوا على نفقتهم محمد حسين هيكل الذين حصل على الدكتوراه فى الاقتصاد السياسى من باريس (٧٣) ، ومصطفى عبد الرازق الذى درس

---

(٦٩) انظر : على الدين هلال : التجديد في الفكر السياسى المصرى الحديث ، ص ٣٧

(٧٠) مذكرات محمد فريد ، القسم الثانى ، كراسة ٣ ، ص ٥٢

(٧١) الجريدة ٣٤٣ في ٢٥ ابريل ١٩٠٨ (وقد درس تاسم من ١٨٨١ — ١٨٨٥) والهلال مجلد ٢٢ فبراير ١٩١٤ ، ص ٣٨٥ (حيث درس ابو الفتوح في مونبليه وأسس جمعية التقدم المصرى عام ١٨٩١) .

(٧٢) وهذا لا يعنى انهم ليست لهم ملكيات خاصة بهم بل كانت ملكياتهم متوسطة نسبيا وتعتمد على ميراثهم أولا ثم مشترواتهم — مثل :

— عبد الخالق ثروت : حتى عام ١٨٩٦ كان يمتلك ٣٠٦ فدانا بالجيزة الغربية ودمنهور ، ملفه ٣٣٤١٦ محفظة ٢٣٠٧ ، مخزن ٣١٤ ، عين ٤ (ملف غير منشور بدار المحفوظات العمومية بالقلعة) .

— فتحى زغلول : حتى عام ١٨٩٧ كان يمتلك ١٢٠ فدانا في ابيانه والصالحية ملفه ٢٥٦٨٧ محفظة ١١٠٥ مخزن ٥٤ عين ٢

— احمد عفيفى : حتى عام ١٨٩٦ كان يمتلك ٢٧٥ فدانا فى سمنود والسنبلاوين ملفه ٢٧٣٣ محفظة ١٢٤٩ مخزن ٦١ عين ٣

— على ابو الفتوح : حتى عام ١٨٩٦ كان يمتلك ٢٣٢ فدانا ببلقاس وطلخا ملفه ٢٥٦٠٩ محفظة ١٠٩٨ ومخزن ٥٤ عين ١

— وكان الهلباوى يمتلك عام ١٨٩٧ اربعمائة فدانا لا يقل ايرادها عن ٣٠٠٠ جنيه سنويا، مذكراته ، ص ٦٨

(٧٣) وكانت عائلته ترتبط مع عائلة لطفى السيد بصلة نسب ، وكان لطفى يقدمه لاصدقائه « بابن أخى » وقد نشرت له الجريدة اول مقال كتبه ، كما ذكر في مذكراته « وقد كنت أميل في الرأى الى حزب الامة » مذكرات في السياسة ج ١ ، ص ٤

الفلسفة في السوربون (١٩٠٩ ــ ١٩١٢) ولطفي السيد الذي درس علم الاخلاق في جامعات سويسرا (١٨٩٧) (٧٤) وابراهيم رمزي الذي درس القانون الدستوري والاقتصاد السياسي في باريس (٧٥) ، ومحمد بك محمود الذي استكمل دراسته في اكسفورد (٧٦) .

ومنها ان هؤلاء المثقفين شكلوا ما يسمى بجماعة الشيخ محمد عبده التي تحلقت حوله وتأثرت بأفكاره واتجاهاته بل ومواقفه السياسية . ومنها أيضا انهم اتصلوا من قريب بالفكر الاوربي وان كانت ثقافتهم في معظمها فرنسية ، وعرفوا داروين ونيتشه وكونت والتصاصين الروس والفابيين البريطانيين ودعاة المذهب النفعي ، هذا بالاضافة الى كتاب فرنسا في عهد الاستنارة كفولتير وروسو وكوندياك ومنتسكيو وكذلك فرويد ولوبون وغيرهم (٧٧) .

وعلى سبيل الامثلة يقرأ هيكل الحرية لستيوارت مل والعدل لسبنسر ويبدو أثر ذلك في كتاباته « تراجم مصرية وغربية » وترجماته لروسو (٧٨) وتستشهد ملك حفني ناصف بأقوال سبنسر ، ويظهر أثر دراستها للداروينية، فيما تكتب من مقالات (٧٩) أما قاسم امين فقد قرأ مع زميلته الفرنسية حكم لارشفوكو وشعر لامارتين وفلسفة فنلون ورينان وأعمال فولتير وروسو ، وغيرهم وتمنى لو ترجم أعمالهم (٨٠) وترجم فتحي زغلول كتابات لبنتام ولوبون ودينولان وغيرهم .

واذا جاز لنا اتخاذ حصولهم على شهادة الحقوق الخديوية او استكمال دراستها بالمدارس والكليات الأوروبية ، مقياسا لثقافة العصر ، حين كان

---

(٧٤) لطفي السيد : قصة حياتي ، ص ١١٣ ، وقد زار باريس سنوات ١٨٩٦ ــ ١٨٩٧ ــ ١٩٠٦ .

(٧٥) زاخورا : المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ١٨٣

(٧٦) البشري : في المرآة ، ص ١٢٩ ، وزاخورا ، السابق ، ص ١٧٧

(٧٧) احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسي ، ص ٤٧

(٧٨) النجار : الدكتور هيكل ١٨٨٨ ــ ١٩٥٦ مقال بكتاب تذكاري ، ص ١٣

(٧٩) مجد الدين حفني ناصف : آثار باحثة البادية ، ص ٧١ ، ٧٢

(٨٠) ماهر فهمي ، قاسم أمين ، ص ٤١ (عن قاسم أمين : أسباب ونتائج) .

ذلك النوع من الدراسة أسبق أنواع التخصصات ، باعتباره يؤهل الفرد الى أعلى مناصب الدولة ، كما يعد الفرد للعمل الحر ، والمحاماة والصحافة والكتابة وغيرها ، فانهم فى معظمهم جميعا كانوا مثقفين بثقافة العصر ، التى حرص الاعيان على نيل ابنائهم لها ليتمكنوا ايضا من التعامل مع شركات الأراضى وادارة الاملاك ، والحصول على مناصب الادارة وتولى مقاعد النيابة العمومية (٨١) .

ومن بين مؤسسى الحزب وجريدته وجد خمسة عشر يحملون شهادة الحقوق الخديوية (٨٢) ، هذا بالاضافة الى حصول بعضهم على دراسة أعلى فى الجامعات الأوروبية (٨٣) ، يضاف الى ذلك كله فريق من الشباب المحامين الذين كانوا يعتنقون مذهب الحزب ، ويكتبون فى جريدته مؤيدين خطته كيوسف نحاس ، وعزيز خانكى واحمد عبد اللطيف وغيرهم ، كما كان منهم من درس الحقوق على نفقته ومارس المحاماة فاكتسب خبرة قانونية رغم انهم بدؤا دراستهم بالأزهر ، كمحمود ابو النصر ، وابراهيم الهلباوى (٨٤) ، كذلك نجد منهم محمد محب باشا الذى ربما درس الحقوق

---

(٨١) وقد عبر مصطفى كامل عن مدرسة الحقوق « بمدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأمم والأفراد ولو عرفت أن تعداد الامة الفرنسية كتعداد امتنا خمس مرات وطلاب الحقوق هنا سبعة آلاف وعندنا ١٣٤ فقط لعرفت سر ارتقائهم » خطابيه لعلى فهمى فى ١٢ — ٧ — ١٨٩١ ، ٢٩ — ٧ — ١٨٩٣ . أنظر أحمد رشاد : مصطفى كامل : حياته وكفاحه ، ص ٣٧ ، ٤٤

(٨٢) هم : لطفى السيد — فتحى زغلول — وعلى أبو الفتوح — محمد حسين هيكل — محمد محمود — حسين صبرى — عبد العزيز فهمى (١٨٩٠) — طلعت حرب (١٨٨٩) — عبد الخالق ثروت (١٨٩٣) — احمد عبد الرازق (١٨٨٧) — أحمد عليفى (١٨٧٨) — محمد محمود خليل (١٨٩٧) — محمود عبد الغفار (١٨٩٤) — ابراهيم رمزى — باسيلى نادرس ، الذى كان مستشارا بالاستئناف الأهلية ورئيسا لمحكمة الاستئناف المختلطة — الوقائع — العدد الأول — أول يناير سنة ١٩٠٦

(٨٣) وهم ابراهيم رمزى ، فتحى زغلول (١٨٩٤) ، على ابو الفتوح (١٨٩١) ، هيكل ، وقد درسوا جميعا في باريس ، ثم محمد محمود الذى درس فى اكسفورد .

(٨٤) وقد درس أبو النصر بالأزهر ثم درس فترة بدار العلوم ودرس الحقوق فى باريس (زاخورا : مجلد ٢ ، ص ٤٥٣) أما الهلباوى فقد درس بالكتاب (١٨٧١ — ١٨٧٨) ثم عمل بالمحاماة بعد عدة وظائف خصوصية (مذكراته ص ٣ — ٤) .

هو الآخر ، وقد ترقى فى المناصب حتى بلغ الوزارة (٨٥) ، ولا تقصر ثقافة مثقفى الحزب على ذلك فمنهم من درس علوم الاجتماع والفلسفة كمصطفى عبد الرازق وغيره ، ومنهم من كان جل اهتمامهم بالأدب والنقد والدراسات الاجتماعية وغيرها ومعظمهم من كتاب الحزب الذين نشروا كتاباتهم ومقالاتهم على صفحات جريدته ، وان لم يهتموا بسياسة الحزب فانصبت اهتمامامتهم على الدراسات الادبية والاجتماعية والاخلاقية . بل كان بعضهم يحتل الصفحات الاولى للجريدة وافتتاحياتها أحيانا وبشكل عام تتفق كتاباتهم وخط الحزب الاصلاحى ولذا نعتبرهم من مثقفى الحزب وان لم يكونوا اعضاء نظاميين فى جمعيته العمومية ، كالعقاد الذى كان اول من ابرق للحزب معلنا تأييده ، وكتب الكثير من المقالات على صفحات جريدته . وسلامة موسى الذى اعتبر لطفى السيد وحيه الذهنى فى السياسة الوطنية (٨٦) ، وطه حسين الذى يدين للطفى السيد بالتشجيع على الكتابة ونشر له اول مقال بالجريدة (٨٧) وباحثة البادية وعبد الحميد حمدى وغيرهم .

واذا كنا قد استخدمنا لفظ « مثقفو الحزب » على اطلاق المعنى فاننا سنحاول — منهجيا فقط — ان نقسم هؤلاء المثقفين الى فئات حسب اسهام كل منهم العلمى أو نشاطه المهنى أو دوره الوظيفى وعلى ذلك سوف يتضح أن مثقفى الحزب يضمون فئات رئيسية ثلاث هى :

— الكتاب والمفكرون الذين اسهموا بنصيب من الانتاج الفكرى أو الذين احترفوا الكتابة فى الصحف أو تأليف الكتب أو ترجمتها .

— المحامون ، الذين اتخذوا المحاماة حرفتهم الرئيسية .

---

(٨٥) لم نعثر على ملفه بدار المحفوظات رغم انه شغل منصب وزير الزراعة في وزارة محمد سعيد الاولى حتى أبريل ١٩١٤ ثم وزيرا للأوقاف في وزارة رشدى الأولى حتى ديسمبر ١٩١٤ ، انظر فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية جـ ١ ، ص ١٧٢ — ١٧٣ ، ص ١٨٠

(٨٦) محمود الشرقاوى : سلامة موسى المفكر والانسان ، ص ٤١

(٨٧) طه حسين : الأيام ، الجزء الثالث ، ص ٢٢ . وكان يلازمه أكثر أيام الاسبوع ، كما كان طه من المعجبين بجماعة الامام وحزب الامة ، وقد رثى وكيل الحزب بقصيدة تؤيد هذا المعنى ، نشرتها الجريدة بالعدد ٢٤٩ في أول يناير ١٩٠٨

ـ الموظفون ، الذين شغلوا مناصب حكومية ، وظلوا يعملون بها أو استقالوا منها .

على أنه ليس ثمة فروق أو حدود قاطعة بين هذه الفئات الثلاث ، فكثيرا ما جمع أحدهم اثنتين منها أو تنقل بينها ، وخير مثال على ذلك لطفى السيد نفسه الذى عمل بالوظائف الحكومية ثم احترف المحاماة لفترة قصيرة ، وأخيرا هجرها ليتفرغ للصحافة والكتابة ، هذا الى كون الفئتين الاوليين تنتميان الى الاعمال الحرة ، على حين أن الفئة الثالثة ليست كذلك .

١ ـ الكتاب والمفكرون :

فى مجال الفكر السياسى والاجتماعى يبرز أحمد فتحى زغلول (١٨٦٣ ـ ١٩١٤) واحمد لطفى السيد (١٨٧٢ ـ ١٩٦٣) فاشتهر الاول بترجماته عن الفكر الأوروبى ، بحثا عن سر تقدم الانجليز (الديمولان) ، وسر تطور الامم وروح الاجتماع (للوبون) وأصول الشرائع (لبنتام) . ومن مقدماته الطويلة لترجماته يتضح مدى ايمانه بضرورة واهمية نقل منجزات الفكر الاوربى الحديث الى اللغة العربية ، والأخذ بتجارب الأمم الاوربية من منطلق وحدة التجربة الحضارية . كما يتضح منها مذهبه فى التطور والاعتدال ، كما ان له دراسات تخصصية فى مجال عمله القضائى منها كتابه (المحاماة) ورسالة فى التزوير وشرحا للقانون المدنى (٨٨) .

اما لطفى السيد ، فخلال فترة بحثنا ، لم يؤلف أو يصنف كتابا فى موضوع بل أنه حين شرع فى تأليف كتاب للرد على كتاب « مصر الحديثة لكرومر » لم يكتب منه سوى مقدمته التى نشرتها الجريدة فى حينها ، كما أنه لم يترجم شيئا عن الفكر الغربى قبل عام ١٩٢٤ ، فى الوقت الذى تل فيه اشتغاله

---

(٨٨) وله من الترجمات المنشورة (خواطر وسوانح فى الاسلام للكونت هنرى دى كلترى ، أما ترجمته لديمولان فقد نشرت عام ١٩٠٠ ، بينما نشرت ترجمة روح الاجتماع وسر تطور الامم عامى ١٩١٠ ، ١٩١٢ . وقد ذكر لطفى السيد أن له ترجمات لم تنشر هى : (جوامع الكلم للوبون ـ الاقتصاد السياسى لبورجار ـ جمهورية افلاطون والرد ضد الملكة لسبنسر) انظر : لطفى السيد قصة حياتى ، ص ١٥١ ـ ١٥٢) .

بالسياسة ، حين شرع فى ترجمة ارسطو طاليس مبتدئا بعلم الأخلاق . ولكن مقالاته الغزيرة التى افتتحت بها الجريدة ، قد تنوعت وغصت بأهم منجزات الفكر الاوربى الحديث ، فكتب فى اللبرالية بمفهومها السياسى والاقتصادى ، وفى الاشتراكية والديمقراطية ومذاهب الحكم وحتى فى البيداجوجيا ، والاصلاح الاجتماعى . وقد صنفت مقالات لطفى ، فيما بعد ، ونشرت فى عدة كتب (٨٩) .

وقد شغلت قضية المراة والفكر الاجتماعى اهتمام ثلاثة من المفكرين المنتمين للحزب . اولهم قاسم امين (١٨٦٣ — ١٩٠٨) بكتابيه الشهيرين (تحرير المراة ، والمراة الجديدة) عامى ١٨٩٩ ، ١٩٠٠ (٩٠) وثانيهم طلعت حرب (١٨٦٧ — ١٩٤١) وله فى الرد على كتابى قاسم (تربية المراة والحجاب ١٨٩٩) ، (فصل الخطاب فى المراة والحجاب ١٩٠١) ، واخيرا باحثة البادية (١٨٨٦ — ١٩١٨) التى جمعت كتاباتها فى كتاب « النسائيات » عام ١٩٢٠ (٩١) .

اما الفكر الاقتصادى فقد اختص به طلعت حرب ، وعلى ابو الفتوح (١٨٧٣ — ١٩١٣) فعالج الأول قناة السويس عام ١٩١٠ وتناول « علاج مصر الاقتصادى ، واقتراح انشاء بنك للمصريين عام ١٩١٣ » واحتوت خطبة ومقالاته التى جمعت عام ١٩٥٧ على العديد من الافكار حول تحرير الاقتصاد والدعوة الى التحرر الاقتصادى (٩٢) ، اما على ابو الفتوح فقد اسس جمعية لتعريب الكتب الاقتصادية وكان من اعمالها كتاب « الاقتصاد السياسى

---

(٨٩) مصنفات لطفى السيد هى : صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية — المنتخبات جزءان — تاملات فى الفلسفة والادب والسياسة والاجتماع — وقد جمعها وصنفها وقدم لها اسماعيل مظهر وجميعها نشرت بالجريدة حتى عام ١٩١٤ ثم كتاب (قصة حياتى) وهى ترجمة ذاتية استكتبها له ونشرها طاهر الطناحى .

(٩٠) ولقاسم مقالات فى الاصلاح الاجتماعى جمعت فى كتاب (أسباب ونتائج) نشر عام ١٩١٢ وردم بالفرنسية على داركور ، والذى نشر بعنوان « المصريين عام ١٨٩٤ » ثم خواطر ولمحات من حياته ونشرت بعنوان « كلمات » عن مطبعة الجريدة عام ١٩٠٨ .

(٩١) مجد الدين حفنى ناصف : آثار باحثة البادية . تقديم سمير القلماوى . وقد جمع اخوها فى هذا الكتاب خطبها ومقالاتها ونسائياتها جميعا .

(٩٢) ولطلعت بخلاف مؤلفاته عن المراة والاقتصاد كتاب بعنوان « رسالة حق من الاسلام والدولة العلية مترجم عن رسالة لمكرتير السلطان عام ١٨٩٤

لجيفونس » كما احتوى كتابه « خواطر على ابو الفتوح » على العديد من المقالات الاقتصادية ، وقد نشر عام ١٩١٤ (٩٣) .

وفى مجال الدراسات النقدية والابداع الادبى والفنى تبرز اسماء محمد حسين هيكل (١٨٨٨ — ١٩٥٦) ومصطفى عبد الرازق (١٨٨٥ — ١٩٤٧) وابراهيم رمزى (١٨٦٧ — ١٩٢٤) . اما هيكل فالى جانب رسالته للدكتوراه « دين مصر العام ١٩١٢ » الف اول قصة مصرية بالمعنى الحديث هى قصة (زينب) التى نشرت عام ١٩١٤ ، كما ان مصنفه « فى اوقات الفراغ » والذى احتوى دراسات فى النقد الأدبى والتاريخ ، كان قد نشر معظم فصوله فى الجريدة ، وقد اهدى طبعته الثانية الى لطفى السيد (٩٤) — ولم تعرف لمصطفى عبد الرازق كتابا مؤلفا خلال فترة البحث ، وان كانت مقالاته بالجريدة قد جمعت بعد ذلك فى مصنف « من آثار مصطفى عبد الرازق » ، وقد احتوى على دراسات نقدية فى الفلسفة والادب وبعضا من مذكراته الخاصة حين كان يدرس فى باريس . وقد نشرت جميعا بالجريدة حتى عام ١٩١٥ (٩٥) . واخيرا جمع ابراهيم رمزى بين اكثر من مجال فكان فى طليعة من عملوا للمسرح ، بتاليف (المعتمد بن عباد عام ١٨٩٢) وانتاجها بسلسلة من المسرحيات المؤلفة والمترجمة ، وقد اصدر مجلتين احداهما بعنوان (الفيوم) ، والأخرى بعنوان (المراة فى الاسلام) وقد عضد بهما قاسم امين ، وان كان قد حولها بعد عام الى جريدة سياسية اسبوعية دعاها (التمدن) . كما ترجم كتابا فى اصول الأخلاق من الفرنسية والف كتابا بعنوان « مبادىء التعاون » (٩٦) .

---

(٩٣) وقد ذيل ترجمته لجيفونس بملحق بعنوان « نبذة اقتصادية » وهى فصول كان قد نشرها منذ سنوات عن قانون جريشام وعملة الورق والمصارف والبنوك وغيرها . الكتاب طبع عام ١٩١٣ وله زميلان في الترجمة — انظر كذلك الهلال مجلد ٢٢ ، فبراير ١٩١٤ ، ص ٣٨٥

(٩٤) هذا ما نشره هيكل خلال فترة بحثنا ، اى حتى بداية الحرب العالمية الأولى ، وهيكل بعد ذلك صاحب انتاج فكرى متنوع وخصيب ، انظر : بمذكراته فى السياسة المصرية .

(٩٥) والكتاب جمعه شقيقه على عبد الرازق ، وقدم له ايضا طه حسين ونشرته دار المعارف عام ١٩٥٧

(٩٦) ابراهيم مدكور : ادب ابراهيم رمزى ، ص ١٠٤ — ١٠٥ ، وانظر : المصدر السابق ، مجلد ١ ، ص ١٨٣ — ١٨٤ ، ومذكرات محمد فريد ، القسم الأول ، كراسة ٣ ، ص ٣٢

جـ ـ المحـــامون :

زاد الاقبال على المحاماة نتيجة تزايد الاكتساب منها ، يدل على ذلك تزايد طلاب الحقوق (٩٧) ، ولعل وراء هذا الاقبال ايضا طموح المحامين الى العمل السياسى ، الامر الذي يفسر طلبهم الغاء النصاب المالى الذى يحدد عضوية الهيئات النيابية ، اكتفاء بشهاداتهم الدراسية (٩٨) هذا بالاضافة الى انتشارهم في التكوينات الحزبية التى نشأت بعد عام ١٩٠٦ ، الى جانب ما احتازوه من وضع اجتماعى معين (٩٩) .

أما اعضاء حزب الامة الذين عملوا بالمحاماة لفترة أو بصفة دائمـــة فتبرز منهم أسماء لطفى السيد وعبد العزيز فهمى وكان الأخير قد عمل بها منذ عام ١٩٠٣ . وحين استعفى لطفى السيد فى أوائل عام ١٩٠٦ عمـــل معه بضعة أشهر ثم ترك المهنة ليعمل بالصحافة والسياسة وان كان فهمى قـــد استمر يعمل بها حتى انتخب وكيلا للجمعية التشريعية (١٠٠) ، كما مارس المحاما من أعضاء الحزب محمد محمود خليل حتى عام ١٩٠٢ حين عين فى نظارة الحقانية بوظيفة نائب ثم استعفى عام ١٩٠٤ ليعود للمحاماة ويصبح من رجالها المشهورين ، وكذلك محمد أبو النصر الذي اندمج فى اعداد المحامين أمام المحاكم المختلطة والاهلية والشرعية (١٠١) وبلغ فى المهنة مكانة جعلته

---

(٩٧) وقد ذكر كرومر أنه من بين الذين نالوا البكالوريا عام ١٩٠٣ وعددهم ١٣٦ طالبـــا دخل منهم ٧٧ طالبا مدرسة الحقوق اى بنسبة ٥٧٪ بينما كان مجموع الذين دخلوها عام ١٩٠٠ ـــ ٣٢ طالبا .

(Egypt, No, 1, 1904, p. 78).

وكانت الوقائع المصرية توالى نشر اسماء المحامين المشتغلين أمام المحاكم وفي العدد ٣٠ فى ١٩ مارس ١٩٠٦ نقرأ بقائمة الأسماء (إبراهيم الهلباوى ، وعبد العزيز فهمى ، عزيز خانكى ، حسين عبد الرازق ، أحمد لطفى السيد ، محمد محمود خليل) وهؤلاء من المشتغلين بالمحاماة أمام محكمة الاستئناف .

(٩٨) الجريدة ٢٩٧ في أول مارس ١٩٠٨ (حق المحامين في النيابة من الأمة) .

(٩٩) فلهم مقام سام بين القضاة والحكام ، فمنهم جليس المستشار وندبم القاضى وخدين النائب ووكيل البرنس ، المويلحى ، حديث عيسى بن هشام ، ج ١ ، ص ٦٥

(١٠٠) عبد العزيز فهمى ، هذه حياتى ، ص ٤٦ ، لطفى السيد : قصة حياتى ، ص ٤٢

(١٠١) زاخورا : المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ١٤٧ ، ٤٥٣

ثالث نقيب للمحامين (١٩١٤) . أما الهلباوى فقد بدأ عمله بها فى يناير ١٨٨٦ ، حتى اختير مستشارا للاوقاف عام ١٨٩٣ ثم انتدب مستشارا للخاصة الخديوية ، ومحاميا لها ، الى ان تفرغ لها وبلغ فيها أكبر شهرة فى زمنه وانتخب بسببها رئيسا لأول نقابة للمحامين (١٠٢) كما نقرأ على صفحات الجريدة العديد من أسماء المحامين ، والذين أيدوا الحزب واعتنقوا مذهبه ، كيوسف نحاس ، الذى تولى شئون الجريدة القضائية وله فى ذلك دراسات رائدة بعنوان « ما هنا وما هنالك » ، وكان فى طليعة من نادوا بانشاء نقابة المحامين ، وكذلك اسماعيل زهدى ، الذى طالب بالغاء النصاب المالى لتمثيل المحامين فى الهيئات النيابية ، ونادى باستقلال القضاء (١٠٣) يضاف الى هؤلاء العديد من المحامين الشباب الذين كتبوا فى شتى الموضوعات ، بل ان منهم من كتب بصفة دائمة فى الجريدة مثل عبد العليم صالح ، وحسين فهمى ، وزكريا نامق ، واحمد محمود وغيرهم (١٠٤) .

* * *

جـ ــ الموظفون :

يرجع الاساس التاريخى لاشتغال المصريين بالوظائف الحكومية فى العصر الحديث الى عهد محمد على الذى دأب على استبدال المصريين

---

(١٠٢) مذكرات الهلباوى ، ص ٣٠

لم يظهر اسم الهلباوى ضمن المؤسسين للحزب ولكنه كان من أقرب أصدقاء محمد عبده وربما كان موقفه يوم دنشواى قد سبب له عقدة نفسية حالت دون اعلانه لاسمه ضمن المؤسسين ، ولكنه ذكر فى مذكراته صراحة « أننا حزبا سياسيا هو حزب الأمة وكنت وأصدقائى ضمن مؤسسى هذا الحزب » .... (مذكراته ص ٨٤) كما كان محامى الحزب والمترافع فى كل قضاياه والمتابعين بالاشتراك فى نشاطات الحزب (مذكراته ص ٨٥) وربما كان قد أخفى ذلك نتيجة دنشواى كما قلنا أو لانه كان يريد أن يلعب دورا مزدوجا حتى أن الخديوى فى ٢٩ ابريل ١٩٠٩ ذكر أن مركز نريد من الحزب الوطنى متزعزع ويراد تعيين الهلباوى مكانه (مذكرات سعد ك ١٥ ، ص ٨١٢) .

(١٠٣) الجريدة ١٠٩٤ فى ١٦ أكتوبر ١٩١٠ ، ١٧٠٦ فى ٢٤ أكتوبر ١٩١٢

(١٠٤) الجريدة ١٦٧ فى ٢٣ سبتمبر ١٩٠٧ ، ٥١٦ فى ١٧ نوفمبر ١٩٠٨

بالاتراك وخاصة بعد ان انشأ مدرسة الادارة لتخريج الموظفين (١٠٥) ممـا افضى فى النهاية الى قيام طبقة من البيروقراطية ، وجـاء الاحتلال ليفسح الطريق امام ابناء الاعيان ويمنحهم الوظائف الحكومية (١٠٦) ولم يكن هؤلاء يرغبون فى الوظيفة الا للحصول على الجاه ، كما كانت سبيلا للحصـول على أعلى المراكز الاجتماعية (١٠٧) .

أما أعضاء حزب الامة الموظفون فقد عرفنا مدى علاقتهم بشركة الجريدة ومجلس ادارتها ، وبالتالى موقعهم فى سلك الحزب ، وتجدر الاشارة ابتداء الى أن علاقتهم بالحزب قد اتسمت بمرونة شارفت حد الانتهازية احيانا ، ذلك انهم وان وجدوا ضمن المؤسسين لجريدة الحزب فقد كان من السهل عليهم الاعتذار بأنها مجرد شركة صحفية لا سياسية ، كما انهم ظلوا على علاقة طيبة بالحزب طالما بقى الحزب على علاقة طيبة بالوكالة البريطانية ، وعندما حدث وفاق عباس ــ جورست ، وقدر للحزب أن يصطدم بالاحتلال بشكل ما ، وبدا أن الوفاق قد أطلق يد الخديوى فى بعض المناصب ، انسحب الموظفون فى صمت ، بـل لجـأ بعضهم ــ على ما نرى ــ الى الاعتذار للخديوى واعلنوا تبرؤهم من الحزب (١٠٨) .

وينقسم أعضاء الحزب من الموظفين الى مجموعتين : المجموعة الاولى وهى التى شغل اصحابها الوظائف لفترة متصلة أو متقطعة ثم تركوها لأسباب

---

(١٠٥) حول هذا الموضوع انظر : هيلين ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر ، ص ١٥٥ ــ ١٥٦ ، أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في عصر محمد على ، ص ٣٢٧ . ورؤوف عباس : النظام الاجتماعى في مصر ، ص ٨١ . وعلى الدين هلال : التجديد في الفكر المصرى الحديث ، ١٨٨٢ ــ ١٩٢٢ ، ص ٢٠

(١٠٦) مذكرات محمد فريد ، القسم الأول ، كراسة ٤ ، ص ٩٢ ، وتقرير كرومر لعـام ١٩٠٢ ، ص ٦٩ ، والجريدة ٢٥٠٤ ، في ٢٦ مايو ١٩١٥

(١٠٧) العقاد : أنا ، ص ٩٥ ، والجريدة ٨٤ في ١٧ يونيو ١٩٠٧ ويضيف المويلحى أن الرغبة فى خدمة الحكومة تنقسم الى أربعة اقسام المـال والجاه وشغل المنصب دون سواه ثم خدمة الوطن وهذا مطلب عظيم لانه لا يتفق لنا الجمع بين المحافظة على البقاء في المنصـب وبين الاستقلال في الرأى الذى تقتضيه مصلحة الوطن « حديث عيسى بن هشام ، ج ٢ ، ص ١٠٤١٨

(١٠٨) مذكرات سعد ، كراسة ٧ ، ص ٣٠٩ ، ٣١٨ ، ومذكرات أحمد شفيق ، ج ٢ ، م ٢ ، ص ١٤٣

سياسية او للاشتغال باعمالهم الخاصة ، والمجموعة الثانية ، وهى التى قضى أصحابها اعمارهم فى سلك الوظيفة ومنهم من بلغ فيها منصب الوزير أو وكيله . فبالنسبة للفريق الأول نجد ان لطفى السيد بدأ حياته كاتبا فى النيابة عام ١٨٩٤ ثم صار سكرتيرا للافوكاتو العمومى فمعاونا لنيابة بنى سويف ثم وكيلا للنيابة عام ١٨٩٦ الى أن استقال عام ١٩٠٥ لخلاف مع النائب العمومى (١٠٩) . كما بدأ عبد العزيز فهمى حياته العملية مترجما بنظارة الأشغال الى ان عينه السير ملنر معاونا لادارة الدقهلية ، ثم صار كاتبا بمحكمة طنطا عام ١٨٩٢ ، وتقلب فى وظائف النيابة حتى صار وكيلا للمستشار القضائى بالأوقاف ١٨٩٧ الى ان استقال عام ١٩٠٣ ليعمل بالمحاماة (١١٠) . وعلى هذا النحو ايضا بدأ طلعت حرب مترجما فى قلم قضايا الدائرة السنية الى أن صار مديرا لأقلام قضاياها ، واستمر حتى ابريل ١٩٠٦ حيث استقال ليعمل مديرا لشركة اخوان سوارس (١١١) أما الهلباوى فقد عين كاتبا فى مجلس الشورى (١٨٨٣) وتدرج حتى صار رئيسا لكتابه عام ١٨٨٥ . ثم اصبح سكرتيرا للبرنس حسين كامل ، وفى عام ١٨٩٣ أصبح مديرا للاوقاف العمومية ، فمستشارا قضائيا لها ، وقد انتدبه الخديوى

---

(١٠٩) احمد لطفى السيد : قصة حياتى ، ص ٣٤ — ٣٩ ، وقد عاد الى الحكومة وظل يتقلب فى مناصبها الى أن أصبح وزيرا للداخلية فى يوليو ١٩٣٨ ، وقد عثرنا بسجلات المحفوظات العمومية على ملف له برقم ٤٤٢٦٦ محفظة ٣٦٨٥ مخزن ٣٦٩ عين ٤ ولم نعثر على الملف ذاته .

(١١٠) عبد العزيز فهمى : هذه حياتى ، ص ٣٩ — ٤٩

(١١١) ملف خدمة طلعت حرب رقم ٢٢٨٤٣ ، محفظة ٨٨٣ ، مخزن ٤٣ ، عين (٢) ، وان كانت بعض المصادر ترى أن طلعت حرب كان بعيدا عن السياسة (حافظ محمود وآخران : طلعت حرب ، ص ١٤٤) ، او أنه تسلل الى كل الأحزاب (محمد السوادى : اقطاب مصريين الثورتين ، ص ٤٦) ، الا أنه كان من اعضاء الجمعية العمومية لحزب الأمة وكان مديرا ماليا لجريدته ، كما كان آخر مساهم تركها (الهلال ، مجلد ٣٦ ، فى مايو ١٩٢٨ ، ص ٧٧٨ ، ٧٨١) ، وقد اعتبره محمد فريد حربا على جريدتى الحزب الوطنى — الاقتدار واللواء — لخدمة حزب الأمة (مذكرات فريد — القسم الثانى — كراسة ١ — ص ١١ — ١٢) كما يؤيد ذلك انه كان يكتب فى الجريدة من حين لآخر وكانت بدورها تنقل خطبه وكلماته (مثلا العدد ٥٢٩ فى ٢ ديسمبر ١٩٠٨ والعدد ٢٤٣٦ فى ١٣ مارس ١٩١٥) وقد تسبب دوره فى ادارة الجريدة ماليا فى تخلى لطفى السيد عن ادارتها واحتفظ برئاسة التحرير فقط عام ١٩١٤ (مذكرة ١٣ يناير ١٩١٤ ، ملاحق النجار الجريدة تاريخ وفن) .

ليكون مستشارا قضائيا ومحاميا لخاصته ـ الى ان استقال عام ١٩٠٩ ليعمل بالمحاماة (١١٢) ولم تكن المهنة اذ ذاك تشترط مؤهلا دراسيا معينا .

أما الفريق الثانى فمنه احمد عبد الرازق ، الذى بدأ حياته الوظيفية مبيضا ، بمحكمة مصر المختلطة (١٨٨٧) ثم عمل مترجما (١٨٨٩) فنائب قاض ثم قاض فى عام ١٨٩٣ ، وفى مارس ١٩٠٧ رقى للدرجة الاولى الى ان فصل عام ١٩١١ لاسباب صحية (١١٣) ومنه ايضا باسيلى تادرس الذى كان مستشارا بمحكمة الاستئناف الاهلية ثم عين بأمر عال رئيسا لمحكمة الاستئناف المختلطة بالاسكندرية عام ١٩٠٥ (١١٤) . وكذلك احمد عفيفى الذى بدأ عام ١٨٧٨ مساعدا لنيابة محكمة مصر المختلطة ثم عمل وكيلا للنيابة (١٨٨٥) فرئيسا للنيابة فى نفس العام ، فقاضيا بمحكمة استئناف مصر الاهلية ، فرئيس شرف لاستئناف الاسكندرية (١٩٠٥) ، وجمع الى وظيفته الاخيرة وظيفة ناظر ديوان الخاصة الخديوية فى ديسمبر ١٩١٤ الى ان فصل (١٩١٧) عقب وفاة السلطان (١١٥) .

ويحسب قاييم امين ضمن هذه المجموعة ، ذلك انه دخل خدمة الحكومة فى ديسمبر ١٨٨٥ مساعدا لنيابة محكمة مصر المختلطة ، وبعد عامين صار مندوبا لقضايا الحكومة بنظارة المالية ، وفى يونيو ١٨٨٩ عين رئيسا لنيابة بنى سويف ثم طنطا ، رقى بعدها نائب قاض بمحكمة الاستئناف

---

(١١٢) مذكرات الهلباوى ، ص ١٦ ، ٤٥ ، ٥٣ ، وقد فسر استقالته بقيام مظاهرات الطلبة على اثر قانون المطبوعات والقبض على بعضهم وتوسيطهم لطفى لديه ليدافع عنهم فاستجاب واستقال من وظائفه حين ضغط عليه الخديوى بانه لا يصح أن يكون محامى الخاصة فى مثل هذا الموقف (مذكراته ص ٨٨ ، ٩٠) ويبدو أن الهلباوى قد رآها فرصة طيبة ليغتفر بها دنشواى .

(١١٣) ملف أحمد بك عبد الرازق رقم ٢٤٩٨٦ محفظة ١٠٤٦ مخزن ٥١ عين ٢ وقد وصفه محمد فريد « بانه من الرأى القائل بالاتفاق مع الانجليز وبعدم الطعن على الخديوى وكان يميل الى التقرب من الحكام كل ذلك بحسن نية مع حبه لوطنه ـ صبرى أبو المجد ، محمد فريد : ذكريات ومذكرات ، ص ١٦٥ » .

(١١٤) الوقائع المصرية ، العدد الاول : فى اول يناير ١٩٠٦ ، ولم نعثر له على ملف بدار المحفوظات العمومية .

(١١٥) ملف أحمد عفيفى باشا رقم ٢٧٣٣ ، محفظة ١٢٤٩ ، مخزن ٦١ ، عين ٣١

الاهلية ، ثم اصبح قاضيا فى نوفمبر ١٨٩٣ حتى وفاته عام ١٩٠٨ (١١٦) ، اما محمد محمود فقد التحق بالوظيفة مفتشا بوزارة المالية ، ثم سكرتيرا لمستشار الداخلية ، وترقى بعدها مديرا للفيوم (١١٧) ثم صار بعد ذلك محافظا للقنال الى ان نقل مديرا للبحيرة فى يناير ١٩١٠ (١١٨) وقد تقلب بعد ذلك فى المناصب حتى صار رئيسا للوزارة ، ثم توفى فى عام ١٩٤١ (١١٩) ، وقد كان لديه ما يمنعه من الاعلان عن دوره فى الحزب ، وهو الوظيفة ، فكان مديرا للفيوم وقت قيام الحزب ، حين استدعاه الخديوى ليواجهه بأنه يحضر من الفيوم للاشتغال بجريدة الحزب اجابه بأنه لا يشتغل بالسياسة وانه اذا أراد ذلك فسوف يستعفي من وظيفته (١٢٠) وعندما وشى به فتحى زغلول ، هدده الخديوى مرة اخرى ، وذكره بأنه لا يليق بموظف أن يشتغل بالسياسة (١٢١). بيد إن محمد محمود لم يرتدع ، فقد شكاه ناظر الداخلية للخديوى وذكر أنه يشتغل بالسياسة مع لطفى السيد وانه جمع العمد ليحضروا خطبة لطفي السيد (١٢٢) . وقد عوقب محمد محمود على هذا الاصرار فعندما صدرت حركة تنقلات المديرين فى ٢٤ ديسمبر ١٩٠٨ عين كمال بك مديرا للبحيرة رغم أحقية محمد محمود لأقدميته . فلم ير بدا من تقديم استعفائه الذى أوشك الخديوى على قبوله أو نقله الى بورسودان ، ولكن المسألة انتهت باستبقائه (١٢٣) وقد حدث مثل هذا مع فتحى زغلول ، حين انبه الخديوى على اشتغاله بأمر الجريدة فاعترف للخديوى بأنه هو الذى انشاها ولكنه قطع علاقته بها عندما رآها سارت على غير افكاره ، وانه لا علاقة لـه

---

(١١٦) ملف خدمة قاسم رقم ٢٣٦١٢ محفظة ٩٤٢ مخزن ٤٦ عين ٢

(١١٧) البشرى : فى المرآة ص ١٢٨ ، وزاخورا : مرآة العصر مجلد ٢ ص ١٧٧

(١١٨) الجريدة ٢٠٧١ فى ٤ يناير ١٩١٤ (التنقلات الادارية) .

(١١٩) ملف خدمة محمد محمود رقم ٤٦٩٠٩ — محفظة ٤١٤١ — مخزن ٢٨٨ عين ٤ والملف ورقة واحدة هى اذن صرف معاشه . وحول المناصب التى تولاها فيما بعد . انظر هيكل : مذكرات فى السياسة ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ — ٢٠٧

(١٢٠) مذكرات سعد زغلول ، ك ٧ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٨

(١٢١) نفس المصدر ، ك ٣٠ ، ص ١٦٤٨

(١٢٢) نفس المصدر ، ك ٩ ، ص ٤٣٥

(١٢٣) نفس المصدر ، ك ٩ ، ص ٣٢٤ ، ٤٣٥

بالحزب ولم يجتمع بأعضائه الا فى الليلة التى اجتمعوا فى مسائها (١٢٤) ولكن يبدو أن فتحى ظل على علاقته بالحزب لأن الخديوى عاود انتقاده لذلك الامر الذى جعله يؤكد للخديوى مرة اخرى أنه غير راض عن خطة الجريدة وانه حرر لمديرها خطابا بذلك ، ولم يتركه الخديوى حتى انسحب من الحزب وجريدته ، وقد أشيع انه تعهد له بأن يعمل على افسادهما (١٢٥) وان لم يقم دليل على انه فعل ذلك أو حاوله ، الا أن الجريدة لم تعد تكتب عن فتحى — بعد ذلك — الا بمقدار ما تكتب عنه الصحف الاخرى . وكان فتحى قد بدأ حياته الوظيفية مساعدا لمندوب بلجنة قضايا الحكومة فى سبتمبر سنة ١٨٨٧ ، ثم عين رئيسا للنيابة فى ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٩ ، فرئيسا لمحكمة المنصورة ، نقل بعدها الى محكمة مصر الابتدائية (١٢٦) ، ثم رقى وكيلا لنظارة الحقانية فى فبراير سنة ١٩٠٧ ، الى جانب عضويته فى لجنة المراقبة القضائية وظل وكيلا للحقانية حتى توفى فى مارس ١٩١٤ (١٢٧) .

أما على أبو الفتوح الذى بدأ مساعدا للنيابة فى يونيو سنة ١٨٩٤ فوكيلا لها فى ديسمبر سنة ١٨٩٦ ، فرئيسا لنيابة الاستئناف فى ديسمبر سنة ١٩٠٨ ، فقد رقى مديرا لجرجا فى مارس سنة ١٩٠٩ دون أن يتدرج فى وظائف الادارة وأصبح بعدها وكيلا لنظارة المعارف فى ابريل سنة ١٩١٢ الى أن توفى فى العام التالى (١٢٨) .

وقد تولى اثنان من رجال الحزب منصب الوزارة هما عبد الخالق ثروت (١٨٧٣ — ١٩٢٨) ومحمد محب . وقد بدأ ثروت موظفا بورشة

---

(١٢٤) نفس المصدر ، ك ٧ ، ص ٢٩٨ ، ك ٣٠ ، ص ١٦٤٨

(١٢٥) أحمد شفيق ، مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ، م ٢ ، ص ١٤٣ ومذكرات سعد زغلول ، ك ٧ ، ص ٣٠٢

(١٢٦) ملف فتحى زغلول رقم ٢٥٦٨٧ محفظة ١١٠٥ مخزن ٥٤ عين ٢ ، ورقة ٧٢ — وفى مذكرات فريد (القسم الثانى ، ك ٢ ص ٥٢) ان فتحى قد اشتهر عنه الارتشاء وسوء السلوك والانهماك فى القمار ولذلك حرم من الترقى مدة وكانت النية معقودة على رتبه الا أنه عين قاضيا لمحكمة دنشواى فرقى وكيلا للحقانية .

(١٢٧) نفس الملف ، ورقة (١٦) ويرجع اليه الفضل فى وضع قوانين المحاكم الشرعية وكذلك نظام المعاهد الدينية . (عن الجريدة ٢١٧٩ فى ١٠ مايو سنة ١٩١٤) .

(١٢٨) ملف على أبو الفتوح رقم ٢٥٦٠٩ ، محفظة رقم ١٠٩٨ ، مخزن ٥٤ ، عين (١) .

التنفيذ بقلم الدائرة فى يوليو ١٨٩٣ ثم رئيسا لها فى نوفمبر من نفس العام . ثم صار مساعدا للنيابة فى يونيو ١٨٩٤ فوكيلا لها فى يوليو من العام التالى ثم صار قاضيا بمحكمة مصر الاهلية فى يونيو ١٨٩٨ وحاز الدرجة الاولى فى فبراير سنة ١٩٠٣ وصار بعدها وكيلا لمحكمة قنا الاهلية (١٩٠٥) ثم باشر مفتش اقلام الكتاب بالمحاكم الاهلية فى نوفمبر ١٩٠٦ ، فمستشارا بمحكمةالاستئناف فى فبراير سنة ١٩٠٧ ، وانتقل بعد ذلك الى مناصب الادارة فصار مديرا لأسيوط فى نوفمبر من نفس العام لكنه عاد بعدها الى الحقانية نائبا عموميا فى نوفمبر ١٩٠٨ ثم ناظرا لها فى ابريل ١٩١٤ ، فى وزارة رشدى التى استمرت حتى ديسمبر من نفس العام (١٢٩) أما محمد محب باشا فتدلنا المصادر على انه كان محافظا لعموم القنال ، معنى هذا انه تقلب عادة فى وظائف الادارة او القضاء ، كما حدث لعلى أبو الفتوح وعبد الخالق ثروت ، ثم عين وزيرا للزراعة فى وزارة محمد سعيد الأولى (٢٣ فبراير ١٩١٠ حتى ٥ ابريل ١٩١٤) ، ثم اصبح وزيرا للأوقاف فى وزارة رشدى الاولى (٥ ابريل ١٩١٤ حتى ١٩ ديسمبر ١٩١٤) (١٣٠) .

ويتعلق بمسألة تكوين الحزب قضية انتماء بعض الشخصيات اليه ، فهناك بعض هذه الشخصيات ممن يحسبون على الحزب، وان لم يكونوا أعضاء نظاميين فيه أو بمعنى أدق يرون مذهبه ، وجمعتهم به عوامل منها انتماؤهم اصلا لجماعة الشيخ محمد عبده ، ومنها الايمان بفكره واسلوبه ، ومنها أخيرا

---

(١٢٩) ملف عبد الخالق ثروت رقم ٢٣٤١٦ ، محفظة ٢٣٠٧ ، مخزن ٣١٤ عين ٤ ، وقد عين ناظرا مرة أخرى حتى عام ١٩١٩ حيث اعتزل ، ثم عين وزيرا للداخلية في ١٧ مارس ١٩٢١، ثم اصبح رئيسا للوزارة ١٩٢٢ ، وقد ذكر البشرى في مرآته ص ١٢٨ « ان التشريع المصرى قرابة ثلاثين سنة كان من وضعه » ، ولم يأت في ملفه انه عين اول ما تخرج من الحقوق سكرتيرا للمستشار القضائى جون سكوت ، وقد ذكرها هيكل في تراجم ص ١٩٢ ، واسماعيل صدقى في مذكراتى ، ص ٨

(١٣٠) فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية ج ١ ، ص ١٧٥ ، ١٨٠ وقد علق محمد فريد « بان نظارة الزراعة سيعين لها رجل نهاب من عباد المال وخدام الانجليز ، ذلك الرجل لم يصل الى هذا المركز الا بالتعريض والدياثة لمن يسمى برشى باشا من الانجليز » . مذكرات محمد فريد ، القسم الثانى ، ك ٢ ، ص ٥٩ ، هذا ولم نعثر له على ملف بدار المحفوظات العمومية بالقلعة .

الصلات الشخصية التى تربطهم برجال الحزب ، وبالرغم من انهم لعبوا دورا مؤثرا فى تكوين الحزب ونشاطه دون ان يكونوا أعضـــاء فى مجلس ادارته ــ كمحمد محمود وفتحى زغلول ــ حيث حالت وظائفهم دون ذلك ، وكذلك عدم حماس بعضهم للعمل العام أو الرغبة فى عدم الالتزام الصريح تجاه حزب بعينه . خوفا أو طمعا ــ كقاسم أمين وسعد زغلول ــ وسنكتفى بهذين الأخيرين لعدم انضمامهما الصريح لجمعية الحزب العمومية .

ولعل وفاة أمين المبكرة فى ٢٢ ابريل عام ١٩٠٨ لم تتح له حسم مسألة انضمامه الى الحزب ، كما لم تتح لنا فهم ذلك من مواقفه ، لكن هناك معلومات تجعلنا نقرر ونحن مطمئنين بأن قاسم أمين ينتمى الى حزب الأمة ، أولهـــا انه كان من أقرب أصدقاء محمد عبده ، وعلى صلات وثيقة بأغلب جماعته (١٢١) وثانيها ايمانه بأسلوب المسالمة والاعتدال « فمعاقبة الشر بالشر اضـــافة شر الى شر » وهو ما عبر عنه الحزب فيما بعد بفلسفة المسالمة لا المعاندة ومنها أيضا ما دونه فى كلماته بما يفيـــد انه واضع حكمة ابن حزم شـــعارا للجريدة « فلا تكتمل اخلاق المرء الا اذا استوى عنده مدح النـــاس وذمهم اياه » (١٢٢) وان كان سعد زغلول قد ارجع عـــدم اشتراكه هو وقاسم فى الجريدة لأنها انشئت على غير رغبتهما وانهما استرابا فى قصـــدها وشرعا العمل فى انشاء الجامعة (١٢٣) بينما تبرز طبيعة قاسم النفسية لتؤيد ما ذكره سعد ، فهو يجد السآمة فى الاجتماعات « وما شعرت بها فى الوحدة ، اشتاق الى النـــاس فاذا اختلطت بهـــم رايت وســـمعت ما يزهـــدنى فيهم فأفر منهم ... » (١٢٤) .

ولكن عمل قاسم أمين فى انشاء الجامعة ينفى هذا المعنى ، والأقرب الى الصواب ان قاسما مثله مثل محمد محمود وفتحى زغلول ، حالت وظيفته دون

---

(١٢١) أحمد خاكى : قاسم أمين ، ص ٢٤ ــ ٢٥ ، مذكرات سعد زغلول ، ك ٢ ، ص ٦٢٢

(١٢٢) قاسم أمين : كلمات ، ص ١٨ ، ٥٣

(١٢٣) مذكرات سعد زغلول ، ك (٧) ، ص ٣٠٠

(١٢٤) قاسم أمين : كلمات ، ص ٢٠

الإعلان عن انضمامه للحزب أو حتى الجمعية العمومية لجريدته ، بينما أعلن الآخران ذلك ، فلم يكن قاسم من أبناء كبار الملاك ، بل انه لم يحرص على أن يقتني الأطيان ، فعلى مدى اثنى عشر عاما من وظيفته لم يشتر قيراطا (١٣٥) ولم تكن له عصبية عائلية تحميه ، فكان من أصل كردى ، ثم هو قد منح فى مارس سنة ١٩٠٦ مكافأة زادت مرتبه السنوى من ٨٠٠ جنيه الى ١٠٠٠ جنيه ، وقد منحها مع سعد زغلول بقرار واحد (١٣٦) فليس من المستبعد أن يكون ابتعادهما عن الجريدة التى بدا اجتماع تأسيسها بعد رفع مرتبيهما بثلاث شهور ، أمرا متفقا عليه .

أما سعد زغلول فقد حسبته المصادر على حزب الأمة (١٣٧) حتى رجح أنه كان عضوا سريا بالحزب (١٣٨) ، ويفسر هذا الرأى بأنه كان من أبرز أعضاء جماعة الشيخ محمد عبده ، وأنه كان يرى مذهبه ومذهب الحزب من ضرورة اعداد الأمة بالكفاءات قبل كل شىء ، وأنه كان من المعتدلين ، كما جمعت الصداقة بينه وبين معظم مؤسسى هذا الحزب (١٣٩) أما سعد فقد قال فى مذكراته « لو كان فى ميل للأحزاب لدخلت حزب الأمة ، وهو يضم كثيرا من أصدقائى » (١٤٠) وتعيين سعد ناظرا للمعارف فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٦ ،

---

(١٣٥) ملف قاسم أمين رقم ٢٣٦١٢ محفظة ٩٤٢ ، مخزن ٤٦ عين ٢ « أنا الموضح اسمى أدناه لا أمتلك أطيانا ولا أملاك ولست مستأجرا أو مستغلا لشىء من ذلك للآن ، قاسم أمين ، القاضى بمحكمة الاستئناف في ١٢ مارس ١٨٩٧ » .

(١٣٦) ملف قاسم أمين ، ورقة (٥) .

(١٣٧) فمن قائل أنه كان الرأس المفكر وراء الحزب ، ان لم يكن من المساهمين في شركة الجريدة . مذكرات عباس : المصرى ٤٨٣٢ في ١١ — ٥ ١٩٥١ وكذلك :
Lloyd, L. : Egypt Since Cromer, Vol. 1, p. 50.

وكذلك أحمد شفيق : مذكراتى في نصف قرن ج ٢ ، م ٢ ، ص ١٢٩

(١٣٨) جولد شمدت : الحزب الوطنى المصرى ، ترجمة غير منشورة لفؤاد دواره : p. 171.

(١٣٩) مذكرات سعد ، ج ٩ ، ص ٣٩٢ ، وحول علاقته بالامام ، انظر أدمز : الاسلام والتجديد ، ص ٢١٨ ، وحول ايمانه بالكفاءات اولا : مذكراته ك ٧ ، ص ٣٤٠ ، ك ٨ ، ص ٣٧١ ، وحول صداقاته لاشين : سعد زغلول ، ج ١ ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧ ، وحول اعتداله :
Lloyd : op. cit. p. 51.

(١٤٠) لاشين : سعد زغلول ، ج ٢ ، ص ٧١ — ٧٢ ، وقد دافعت عنه الجريدة كثيرا : انظر الجريدة ٣١ في ١٣ ابريل ، ١٥٦ فى ٢٠ سبتمبر ، ١٨٧ في ١٦ أكتوبر ١٩٠٧

الذي يعتبر يدا قدمها كرومر لجماعة محمد عبده (١٤١) ثم بعد اجتماعات شركة الجريدة والاتفاق على اصدارها حين كان سعد يهيىء نفسه لتولى الوظائف حينئذ ، وربما بلغه ان كرومر سوف يدخله الوزارة فاختياره لهـا لم يكن ليتم بين عشية وضحاها ، فأراد الا يقولب نفسه داخل حزب سياسى قـد يحول دون المنصب ... من ثم لم يشترك فى تأسيس الجريدة مفسرا ذلك بارتيابه فى قصدها (١٤٢) ، كما أنه فى نفس الوقت كان يعلم موقف الخديوى العدائى من هذه الجماعة ، وتأنيبه لفتحى زغلول لاشتغاله معها ، ومن ثم كان حريصا على عدم اغضاب الخديوى خاصة وان دنلوب وجورست كانا يضغطان عليه بشدة ، من ثم فهو فى حاجة الى الخديوى الذى أوضح له « أن جورست كان متساهلا معنا ولكنه بعد أن علم أن حزب الأمة يريد ان يكتب عريضة لانجلترا يطلب ارجاع اللورد كرومر تغير حاله » فكان كلام الخديوى ينطوى على تحذيره من حزب الأمة ، ولذلك طلب سعد من لطفى السيد أن ينقطع عن التردد عليه دفعا لسوء الظن به ، فانتقده لطفى ، وأوفد الحزب له محمد محمود ليعاتبه ويسترضيه ، حيث أن له ـــ عند الحزب ـــ منزلة كبيرة . ويحذره من مغبة التيار الذى انساق اليه . وقد ذكر سعد أن حزب الأمة يعلن بأنه ـــ اى سعد ـــ كان من أركانه ، وأنه ـــ الحزب ـــ « يعمل كل ما فى وسعه لمعاكستى حتى أعود اليه » وقد انقطع أغلب أعضاء الحزب عن التردد عليه ، ثم علق « باننى لم اكن الا مع حقهم وانى أبرأ الى الله من باطلهم لقد كانوا من نصراء الحق فأصبحوا يخذلونه » (١٤٣) . ولكن تنتهى فترة مصالحة سعد للخديوى فيستأنف سعد من جديد علاقته بحزب الأمة وجريدته التى تتبنى مسألة الدفاع عن استقالة سعد ، كما تنتصر لسعد فى قضية طعن رفعها ضد اسماعيل اباظة وصاحب الأهرام (١٤٤) وتصرح

---

(١٤١) المنار ، ج ٩ ، في ١٩ سبتمبر ١٩٠٦ ، ص ٧٢٠ ، والمقطم ٢٥٥ في ٧ نوفمبر ١٩٠٦، على سبيل المثال .

(١٤٢) مذكرات سعد زغلول ، ك ٧ ، ص ٢٠٠ ، ولاشين : نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٨٦

(١٤٣) لاشين : سعد زغلول ج ١ ، ص ٨٨ ومذكرات سعد ك ١٤ ، ص ٧٥٧

(١٤٤) الجريدة ١٥٦٥ في ٥ مايو ١٩١٢ (ما يخصنا من قضية القذف) .

الجريدة « بأننا لانفكر لسعد باشا بعد خروجه من الوزارة بل نؤكد أننا أقرب اليه بعد استقالته ... نحن أصدقاؤه الشخصيون ومشاطروه آراءه فى السياسة » (١٤٥) .

لقد أتاح سعد لنفسه حرية الحركة السياسية فلم يشترك فى تأسيس الجريدة رغم ايمانه بمبادىء الحزب وصلاته الشخصية والوثيقة بجماعة محمد عبده وتأثره ، ان لم يكن استفادته ، من علاقته بهذه الجماعة ، وذكره انه لو كان حزبيا لانضم لحزب الأمة وأخيرا لعل سعد رأى ان مركزه من الحزب لن يكون مركز الزعامة ، خاصة وفيه من الأعيان من هم آباء أصدقائه محمد محمود وحسن عبد الرازق ولطفى السيد ، فلم ينضم للحزب متيحا لنفسه مرونة تفيده فى مستقبله السياسى .

* * *

وقبل ان نختم هذا الفصل لابد لنا من التساؤل : الى اى مدى كانت ايديولوجية الحزب التى عرضها مثقفوه ، تقنع باقى الأعضاء من الاعيان؟ أو بمعنى آخر ما مدى الارتباط بين مثقفى الحزب وكبار الملاك فيه ؟ ان هؤلاء المثقفين هم بالدرجة الأولى نتاج أو صورة مهذبة من آبائهم ولا نغالى ان قلنا ان تعليمهم كان نتيجة طبيعية للظروف التى استفاد منها آباؤهم بشكل أو بآخر ، فلا غرو ان أفسح لهم آباؤهم ، والذين دفعوا بهم الى ساحة العلم فى أوروبا ، ليكونوا المعبرين عنهم فى كل المناسبات ، والمنظرين لأفكارهم ، فتركوهم يعبرون عن ذلك بالحرية طالما لم يكن هناك ضرر مباشر من ذلك مع الامساك بزمامهم اذا لزم الأمر . فقانون شركة الجريدة نص على محاسبة مدير الجريدة أو تغييره اذا رؤى ذلك ، وصورة منحهم هذه الحرية تتمثل فى تمويل الأعيان للجريدة ، واقالة عثراتها المالية كلما لزم الأمر (١٤٦) وهى

---

(١٤٥) الجريدة ، نفس العدد .

(١٤٦) بعد أقل من عام من اصدارها اكتتب الأعيان لها باربعة آلاف جنيه عندما انسحب بعض الشركاء انظر الجريدة ٢٦٠ فى ١٨ يناير ١٩٠٨

آذاة الحزب الأولى والفريدة ، فكان هذا التمويل بمثابة صك الموافقة ، كما كان صمام الأمان فى ايدى الأعيان اذا ما تطرف الكتاب تطرفا يضر بمصلحتهم، فى الوقت الذى اندفع فيه الكتاب فى التعبير عن ثقافاتهم وافكارهم التى نقلوها عن الغرب ، ولم يكونوا يحسبون حسابا للمدى الذى يمكن أن تفضى اليه ، بل كان شاغلهم فى اغلب الأحيان اظهار القدرة على الاستظهار والترديد على اعتبار أن ذلك نوعا من المعاصرة . هذا مع اعتبار انفسهم الشريك الطبيعى لكبار الملاك فى العمل السياسى . ان لم يكونوا الشريك الأعلى باعتبار ما نالوه من تعليم (١٤٧) وحتى فى عرضهم لنظريات الفكر السياسى كانوا يعبرون عن الديمقراطية مثلا من مفهوم طبقى . فلطفى السيد مثلا يرى أنه اذا كانت الديمقراطية بالغة حدها من الكمال فهى لا تخلو من تباين فى الطبقات فان هذه الديمقراطية ان فقدت الفاضلة بالنسب لا تعدم الفاضلة فى المال فان للأغنياء مصالح غير مصالح الفقراء ... » (١٤٨) كما يرى حسن صبرى ، وهو يخطب فى نادى الحزب الا بأس من تجريد الأعيان من المزايا والتمكين، لنظرية المساواة المطلقة بين الأعيان والعامة (١٤٩) من زاوية انه لا بأس من ذلك مادام الملوك سيحرمون من السلطة التى لابد وأن تنالهم ، وهم الصفوة المتعلمة وابناء العائلات الكبيرة وهذا يدل على تعبير المثقفين عن مصلحة فئتهم داخل الطبقة التى خرجوا منها وذلك لثقافتهم العالية ، والتى أحدثت فجوة بينهم وبين الأعيان من ناحية ، ولقدرتهم على فهم روح التطور فى عصرهم وتصورهم للمستقبل من ناحية اخرى ، أما الأعيان فكان لديهم نفور غريزى من المبادىء والأفكار التى لايفهمونها ، وكثير من الاعيان انصرفوا بعد الاجتماع الأول لتأسيس الجريدة حين علموا بأهدافها فخافوا من معاداة الخديوى ، والداعين للجامعة الاسلامية (١٥٠) .

كما لا نجد صعوبة ونحن نقلب أعداد الجريدة ، فى ادراك اهتماماتها الاقتصادية والزراعية على وجه الخصوص وما قامت به من ترشيد وتوجيه

---

(١٤٧) وكانت تتساءل ولم لا يستفيدون بمعارف الشبيبة المتنورة ولا يضمونها الى خبرتهم وماحنكتهم التجارب ؟ الجريدة ٧٤٣ فى ١٧ اغسطس ١٩٠٩.

(١٤٨) الجريدة ١٥٨٩ فى ٢ يونيو ١٩١٢ و (اللورد كتشنر والاحزاب السياسية) .

(١٤٩) الجريدة ٤٩٤ فى ١٩ اكتوبر ١٩٠٨ (خطبة حسن بك صبرى) .

(١٥٠) FO. 407-167, 82, Desp. 5 Aug. 1906, p. 201.

فى وسائل الزراعة والرى ، والاهتمام بشئون القطن وسوق الأوراق المالية وهى كلها مسائل تهم الطبقة التى خرجوا منها ؛ وبرغم تأكيد لطفى السيد على أن الجريدة ظهرت « بفكرة الأعيان ومالهم وسارت فى حياتها على طبق رغبتهم » وانه يكتب ما يمليه عليه الأعيان اصحاب الأموال (١٥١) الا انه لم يتورع عن انتقادهم حين اصطفوا للاحتفال بجورست أثناء جولته فى اغسطس ١٩١٠ ، كما انتقدهم يوسف البستانى لنفس السبب واستنكر هذا الميل التقليدى للوقوف امام هذا الكبير او ذاك ؛ والضعف أمام الحاكم (١٥٢) وعندما ارسل بعض الأعيان برقيات تهنئة الى جلالة ملك بريطانيا ايذانا بالرضى عن الحال الحاضرة ، استنكر لطفى السيد هذا واعتبر الأعيان الذين أتوا ذلك انما أتوه بصفتهم الشخصية وليسوا نائبين عن الأمة (١٥٣) .

ويظهر الاختلاف بين الأعيان وكتاب الجريدة بصورة أخرى فى المجالس النيابية ، فبينما وقف خمسة من اعضاء حزب الأمة داخل مجلس الشورى ضد اقتراح علنية الجلسات ، فقد طالبت الجريد بعلانيتها فى حملة مايو ١٩٠٧ (١٥٤) وبينما تطالب جريدة الحزب بالدستور الكامل ، اذ ببعض أعيان الحزب داخل مجلس الشورى يطلبون طلبات أكثر تواضعا تتمثل فى مجلس نيابى ذى سلطة اهلية صرفه .... الخ (١٥٥) وغير ذلك من المواقف التى ستتضح من دراستنا لمسالة الديمقراطية والمجالس النيابية (١٥٦) .

ولسنا نعرف موقفا تحدى فيه الأعيان الجريدة وعلى راسها لطفى السيد الا عندما ثارت عليه ثائرة الرأى العام نتيجة مقالاته عن موقف مصر من تركيا خلال الحرب الطرابلسية ، مما أبعده عن الجريدة لفترة ، خففت

---

(١٥١) الجريدة ٦٠٦ في ٩ مارس ١٩٠٩ ، مصر الفتاة (٩٧) في ٢٠ مارس ١٩٠٩

(١٥٢) الجريدة ١٠٥٧ في ٣٠ اغسطس (زينات الصيف للطفى السيد) ، ١١٦٨ في ١٧ يناير ١٩١١ (سياحة السير غورست واعيان البلاد ليوسف البستانى) .

(١٥٣) الجريدة ١٤٨٧ في ٣ فبراير ١٩١٢ (مصر والاحتلال للطفى السيد) .

(١٥٤) الجريدة ٦١ فى ٢١ مايو ١٩٠٧ (مجلس شورى القوانين) مضابط الجلسة جلسة ١٦ ديسمبر ١٩٠٧ (الوقائع ١٤٧ في ٢٥ ديسمبر ١٩٠٧) .

(١٥٥) الجريدة ٤٤٥ في ٢٣ أغسطس ١٩٠٨ ، مضابط مجلس شورى القوانين جلسة ١٣ أكتوبر ١٩٠٨ (الوقائع عدد ٤٠ في ١٢ ديسمبر ١٩٠٨) .

(١٥٦) انظر الفصل السادس (حزب الأمة والمجالس النيابية) .

فيها من حدتها وحاول فيها د . هيكل امتصاص غضب الراى العام والأعيان الذين وقفوا موقفا معاكسا وأيدوا تركيا وتبرعوا لجيشها (١٥٧) وان كان هذا الموقف قد ساعد على انتهـــاء الجريدة والحزب ، حيث لم تكن « الجريدة » صحيفة شعبية تستطيع تعويض خسارتها المـــالية فى الوقت الذى توقف فيه الاعيان عن تمويلها ، ومع هذا لم يستطع المثقفون أن يستمروا فى التعبير عن مصالح الاعيان ، ولم يستطع هؤلاء ان يجاروا كتـــاب الجريدة فى مبادئهم وافكارهم ، برغم الأرضية المشتركة التى تجمعهما ، ووحدة الهدف ، ويؤكد هذا المعنى أنه لن تظل بنوتهم للأعيان هى العامل الأساسى فى تكوين حركتهم ، فسوف يزاحم ذلك عوامل أخرى منها انهم نتاج لتطور فئة المثقفين المصريين بشكل عام ، ودرجة استيعابهم للفكر الأوروبى ، ثم انعكاس حركة الاحداث الداخلية والخارجية المعاصرة لهم على تكوينهم السياسى والفكرى ، ومدى تصورهم للمستقبل فى ضوء هذا كله .

* * *

(١٥٧) الجريدة ١٣١٩ في ٢١ اكتوبر ١٩١١ ، وما بعدها ، لطفى السيد قصة حياتى ص ١٢٢ ، هيكل : مذكرات ، ج ١ ص ٥٠ — ٥١